

البابا شنودة الثالث

كلمة متفحة

الجزء الأول
(١-٥٠)



قداسة البابا شنودة الثالث

١٠٠ كلمة منفعة

الجزء الأول (من ١ إلى ٥٠)

Words Of Spiritual Benefit

Vol. I From 1 - 50

By

H.H. POPE SHENOUDA III

2nd reprint
APRIL 1981

الطبعة الثانية

أبريل ١٩٨١



عمارة مما كبر الفتناء والغيرة
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية ويطس لسو الكرازة المرقسية

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تصدير

هذه الكلمات قُصد بها أن تكون موجزة ومركزة ،
تصلح لمن لا يجد وقتاً لقراءة المقالات المطولة .
كل كلمة منها تقدم لك معنى روحياً خاصاً ،
يمكن أن تقرأ وحده ، قائماً بذاته ...
نضعها بين يديك ، ليس لكي تضيفها إلى معلوماتك ،
إنما لكي تضيفها إلى حياتك ...
أمامك الجزء الأول من هذه الكلمات ،
وأمام المطبعة الجزء الثاني منها ...
فإلى لقاء قريب مع باقى الكلمات ...

شنوده الثالث

١٠ يوليو ١٩٨٠ (٣ أبيب)
تذكار البابا كيرلس عمود الدين

[١] الهدوء

الهدوء صفة جميلة يتصف بها الإنسان الروحي ، ومنها :

هدوء القلب ، وهدوء الأعصاب ، وهدوء الفكر ، وهدوء الحواس ، وهدوء التصرف ، وهدوء الجسد .

الإنسان الهادئ ، لا يضطرب قلبه لأي سبب ، ولا يفقد هدوءه مهما ثارت المشاكل . وكما قال داود النبي « إن يحاربني جيش فلن يخاف قلبي . وإن قام عليّ قتال ، ففي هذا أنا مطمئن » . إنه هدوء مصدره الإيمان ...

إن فقد الإنسان هدوءه من الداخل ، يبدو أمامه كل شيء مضطرباً ، وكل شيء بسيط يبدو معقداً .

إن التعقيد ليس في الخارج ، وإنما في داخله ...

وإن هدأ القلب ، يمكن أن تهدأ الأعصاب أيضاً . فلا يثور الشخص ،

وإنما يحل الإشكال في هدوء ...

إن العقل إذا عجز عن حل أمر ما ، تتدخل الأعصاب لحله .

وقد تعلن الأعصاب الثائرة عن قلة الحيلة وفقدان الوسيلة . وكلما

تعبت الأعصاب ، تزداد ثورتها ...

والشخص الهادىء قلباً وأعصاباً ، يمكنه أن يكتسب الهدوء فى التفكير وفى التصرف ، فىفكر تفكيراً متزناً مرتباً بغير تشويش ، و يتصرف فى اتزان وفى هدوء ، ليس فى صحب الإنفعال ، ولا فى إضطراب الأعصاب .

ومما يساعد على الهدوء الداخلى ، الهدوء الخارجى : هدوء المكان ، وهدوء البيئة ، والبعد عن المؤثرات المثيرة .

لذلك فإن الرهبان الذين يعيشون فى هدوء البرية ، بعيداً عن المضوضاء ، وعن صياح الناس ، وعن إثارات الأخبار والأحداث ، هؤلاء يكون تفكيرهم أكثر هدوءاً ، وتكون قلوبهم وأعصابهم هادئة . و يكونون فى الغالب قد اعتادوا الهدوء ...

وحياة الوحدة والإنفراد ، تجلب الهدوء عموماً ، بسبب هدوء الحواس . لأن الحواس هى أبواب للفكر كما يقول القديسون . فإتراه وما تسمعه وما تلمسه ، يجلب لك فكراً . فإن استراحت حواسك من جمع الأخبار ، استراحت نفسك من الأفكار ...

والمكان الهادىء يساعد على هدوء الحواس ، وبالتالى هدوء الفكر وهدوء القلب وهدوء الأعصاب . لذلك فإن الكثيرين يعدون عن الأماكن الصاخبة إتماساً للهدوء ...

إن محبى الهدوء يبحثون عنه بكل قواهم ، ولكن البعض - للأسف - يجنون الصحب ، ولا يعيشون إلا فيه ، ويسأمون من الهدوء !

[٢] كيف تعامل الناس

هناك وسائل عديدة تستطيع أن تنجح بها في معاملة الناس ، وتكسب قلوبهم ، وهذا تقودهم بالحب في طريق روحى ، وكما قال الكتاب « رابع النفوس حكيم » .

١ - حقق للناس في حياتك المثاليات التي يشتهونها .

٢ - إزهدهم فيما في أيدي الناس ، يحبك الناس . لا تشعر الغير بأنك تتخذ منهم موقف المنافسة ، الذى يريد أن يستولى على ما في أيديهم ، أو ما يريدون الحصول عليه .

٣ - اجتمل غيرك في وقت ضعفه أو في وقت خطئه ، واكسبه بطول البال وبالصفح ، وبسعة الصدر: فلا شك أنه سيندم على ما أساء به إليك حينما يخلو إلى نفسه .

٤ - إمدح الناس ، وأشعرهم بتقديرك لهم ، وبأن كل خير يعملونه هو موضع إعجابك ، ولا يخفى عليك .

٥ - إحترم غيرك ، وعامل الكل بأدب ، ليس فقط الكبار منهم ، أو من أنت مجبر على احترامهم ، بل حتى الصغار أيضاً ومن هم أقل منك سناً ودرجة .

٦ - إعمل على بناء الناس ، وليس على تحطيمهم .

٧ - لا تكن كثير التوبيخ للناس ، وإن اضطررت لذلك ليكن ذلك دون أن تجرح أحداً ، ولا تسيء الظن بالناس ، ولا تحاول أن تصطادهم بتصرف أو بكلمة ، ولا تشعرهم بأنك تتخذ منهم موقف المنتقد أو موقف العدو.

٨ - أعذر الناس ودافع عنهم بقدر ما تستطيع ، بأسلوب الحق لا بأسلوب النفاق ، وبقدر ما يحتمل الموقف ، بطريقة سليمة لا رياء فيها ولا مجاملة فيها على حساب الحق .

٩ - إعطِ باستمرار وابدل ، والذي لا تستطيع أن تعطيه معونة ، قدم له كلمة طيبة ، أو ابتسامة لطيفة ، أو مجاملة حقة ، وقم بواجبك نحو الكل دون تقصير .

١٠ - عامل الناس باتضاع ووداعة ، برقة ولطف ، فاللطف من ثمار الروح القدس كما قال الرسول (غل ٥: ٢٢) .

١١ - إفهم الناس ، واجعلهم يفهمونك بهدوء وبروح طيبة ، وهكذا عش معهم في التفاهم المتبادل ، بالمحبة والهدوء ...

١٢ - أدخل في علاقات المشاركة الوجدانية المتبادلة «فرحاً مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين» ، لا تترك مناسبة تطيب بها قلوب الناس دون أن تشترك فيها .



[٣] الأمانة في القليل

قال الكتاب :

« كنت أميناً في القليل ، فسأقيمك على الكثير » .

أى كنت أميناً في الأرضيات ، فسأقيمك على السمايات . كنت أميناً في هذا العالم الحاضر ، فسأقيمك على الأبدية ...

ويمكن تطبيق هذا المبدأ في مجالات شتى كثيرة ...

• إن كنت أميناً في محبتك للقريب ، يمكن أن يقيمك الرب على محبة العدو ، أى يعطيك النعمة التي تستطيع بها أن تحب عدوك ...

• إن كنت أميناً من جهة خدمة الرب في وقت فراغك ، يمكن أن يهبك الرب الحب الذي به تكرر حياتك كلها له .

• إن كنت أميناً من جهة عدم قبولك للخطايا الإرادية ، يمكن أن ينقذك الرب من الخطايا غير الإرادية ...

• إن كنت أميناً في حفظ عقلك الواعى من الفكر الشرير ، يعطيك الرب حينئذ نقاوة العقل الباطن ، ويعطيك الرب أيضاً نقاوة الأحلام ...

• إن كنت أميناً في سن الطفولة ، يقيمك الرب على الأمانة في سن الشباب ، وهى أكثر حروباً .

* إن كنت أميناً من جهة عدم إداة الآخرين بلسانك ، حينئذ يعطيك الرب عدم الإداة بالفكر وهى أصعب .

* وبالمثل إن كنت أميناً فى ضبط نفسك من جهة الغضب الخارجى الظاهر، حينئذ يهيك الرب النقاوة من الغضب الداخلى أيضاً، النقاوة من الغيظ والحقد وأفكار الغضب .

* إن كنت أميناً فى الروحيات العادية (ثمار الروح) ، يمكن أن يقيمك الرب على مواهب الروح ، وبدون الأمانة فى الأولى لا تعطى الثانية .

إن الله يختبرك أولاً فى الشىء القليل فإن وجدك أميناً فيه ، حينئذ يأتىك على ما هو أكثر. أما إن أظهرت فشلك وعدم أمانتك فى القليل ، فمن الصعب أن يقيمك على الكثير...

وكما قال الكتاب « إن جريت مع المشاة فأتعبوك ، فكيف تستطيع أن تبارى الخيل ؟ » .

العجيب أن كثيرين يظنون فى أنفسهم القدرة على القيام بمسئوليات كبيرة بينما هم عاجزون عن القيام بما هو أقل منها . النعمة التى معهم لا يستخدمونها ، ومع ذلك يطالبون بنعمة أكبر، ناسين قول الرب « كنت أميناً فى القليل ، فسأقيمك على الكثير » (مت ٢٥ : ٢١) ، إنه شرط ...



[٤] فرح ... وفرح

هناك فرح تافه بأمور العالم الزائلة ، وتمعها ...

ومثلها فرح سليمان بكل تعب الذى تعبته تحت الشمس (جا ٣) ،
ومثلها فرح يونان باليقطينة بينما لم يفرح بخلاص نينوى . ومن هذا النوع
فرح الإبن الكبير بقوله لأبيه « وقط لم تعطنى جدياً لأفرح مع أصدقائى »
(لو ١٥ : ٢٩) ...

ومن الفرح الزائف ، فرح بعض الناس بالمواهب :
كما فرح التلاميذ بإخراج الشياطين ، فقال لهم الرب « لا تفرحوا
بهذا ، أن الشياطين تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسمائكم قد
كتبت فى ملكوت الله » .

ولعل أسوأ أنواع الفرح ، الفرح بالألم :

وعن هذا قال الرسول « المحبة لا تفرح بالإثم » (١ كو ١٣) ، كمن
يفرح بضياع الناس أو خسارتهم . وقد قال سليمان الحكيم لا تفرح بسقوط
عدوك » (أم ٢٤ : ١٧) . وهذا الفرح الردىء يسمونه (الشماتة) .

أما الفرح المقدس ، فهو من ثمار الروح (غل ٥ : ٢٣)

لقد فرح التلاميذ لما رأوا الرب ، وفرح المجوس لما رأوا النجم ، وفرح
الصديقون بشمار تعبيهم المقدس « الذين يزرعون بالدموع يحصدون
بالإبتهاج »

وشرح لنا الكتاب الفرح بالخلاص ، والفرح بالبشارة :
وهكذا قال الملاك للرعاة « ها أنا أبشركم بفرح عظيم ، أنه ولد لكم
مخلص ... » . وعن فرح الخلاص قال المرتل « إمنحنى بهجة خلاصك »
(مز ٥٠) . وقال الأب « كان ينبغي أن نفرح ونُسِر ، لأن أخاك هذا
كان ميتاً فعاش » (لو ١٥: ٣٢) .

والفرح بتوبة التائب يكون في السماء والأرض :
فحينما وجد الراعي الصالح خروفه الضال « حمله على منكبيه
فرحاً » ، وقال أيضاً « يكون فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب »
(لو ١٥: ٦، ٧) . وقد فرحت الأرملة بوجود درهمها الضائع ، ودعت جميع
جيرانها ليفرحوا معها .

ونحن نفرح أيضاً بجميع وسائط النعمة ...

« فرحت بشهادتك » ، « فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب
نذهب » (مز ٢٢: ١) ، « مجارى الأنهار تفرح مدينة الله » ...

بل الصديقون يفرحون أيضاً بالتجارب (يع ١) وبالتأديب :
« إحسبوه كل فرح يا إخوتي ، حينما تقعون في تجارب متنوعة » ،
« لذلك أَسْر بالضيقات ، بالضرورات » .

ولعل أعظم فرح ، هو فرح الملكوت :
« أدخل إلى فرح سيدك ، هذا هو الفرح الحقيقي . فيه نفرح بالرب ،
وبلقياه وعشرته ، وإن كنا لم نصل بعد إلى الملكوت ، فإننا نفرح بانتظاره ،
بالرجاء » . « فرحين في الرجاء » كما قال الرسول (رو ١٢) .

[٥] مشكلة الأعذار

كثيرون يقدمون أعذاراً ، ينطون بها بعض خطاياهم حتى لا يلاموا ، أو يفتنون بها تقصيراتهم في عمل الخير... إنه خطأ قديم ، يرجع إلى أبام أبويننا آدم وحواء ! حواء اعتذرت بأن الحية أغرتها ، وكان يمكنها ألا تطيع الحية ، فالعذر غير مقبول ، تماماً مثل عذر آدم بأن المرأة أعطته ، وكان في إمكانه ألا يسمع لها ...

حقاً ... ما أصدق عبارة : أن طريق جهنم مغروس بالأعذار ! حتى الذي دفن وزنته في التراب ، قدم لفعلة هذه عذراً هو أقبح من الذنب نفسه ، فقال إن سيده ظالم ، يحصد من حيث لا يزرع !! وما أكثر الذين يعتذرون عن عدم الصلاة ، بأنه ليس لديهم وقت ! بينما يجدون وقتاً للتسلية العديدة وللمقابلات ، والحقيقة إنه ليست لديهم رغبة ! ...

وغالبية الذين لا يقدمون عشورهم للرب ، يقدمون بدلاً منها أعذاراً ، بأنه ليس لهم ، بينا الأرملة التي دفعت الفلسين من أعوازاها ، لم تقدم عذراً . وكذلك أرملة صرفة صيدا التي قدمت زيتها ودقيقها لإيليا النبي في أيام المجاعة ، وهي في ميسس الحاجة ...

إن داود الطفل الصغير ، كانت أمامه أعذاراً كثيرة يمكنه أن

يقدمها ، لو أنه لم يشأ مقاومة جليات ! ...

إنه لم يكن جندياً ولم يطالبه أحد بهذا الأمر، وكان صغير السن ، وقد سكت الكبار، وكان جليات جباراً ليس من السهل مصارعتة ... الخ ، ولكن غيرة داود المتقدمة لم تسمح بتقديم عذر...

واللص اليمين ، كانت أمامه أعذار ضد الإيمان لم يستخدمها ! كيف يؤمن بالله يراه مصلوباً أمامه ؟ ويبدو عاجزاً عن تخلص نفسه ، وترن في أذنيه تحقيرات الناس له وتحدياتهم ... ومع ذلك لم يسمح اللص لنفسه أن يعتذر عن الإيمان ...

إن الخوف لم يكن عذراً يقدمه دانيال أمام جب الأسود ، ولا عذراً يقدمه الثلاثة فتية أمام أتون النار...

ولا محبة الإبن الوحيد ، أمكنها أن تقف عذراً أمام ابراهيم حينما أمره الله أن يقدم هذا الإبن محرقة ، وقد كان إبن الموعد الذي ولد له بعد عشرات السنوات !!

وأصحاب المفلوج ، كانت أمامهم أعذار، لو أنهم أرادوا ... ولكنهم لم يعترفوا بالعقبات ، وصعدوا إلى السقف ونقبوه وأنزلوا المفلوج بالحبال . إن الذي ينتصر على العقبات ، فلا يعتذر بها ، إنما يدل على صدق نيته في الداخل ...

أما ضعيف العزيمة ، أو ضعيف النية ، فيُذكَرنا بقول الكتاب « قال الكسلان : الأسد في الطريق » !

[٦] الصوم وروحانيته

الصوم ليس مجرد فضيلة جسدية ...

إنه ليس مجرد الإمتناع عن الطعام فترة زمنية ، ثم الإنقطاع عن الأطعمة ذات الدسم الحيواني ، إنما هناك عنصر روحي فيه ...

أول عنصر روحي فيه هو السيطرة على الإرادة ...

بنفس الإرادة التي تحكمت في الطعام ، يمكن أيضاً السيطرة على الكلام ، بالإمتناع عن كل لفظ غير لائق ، وكذلك السيطرة على الفكر وعلى المشاعر .

قال مار اسحق : « صوم اللسان خير من صوم الفم . وصوم القلب عن

الشهوات ، خير من صوم الإثنين » .

العنصر الثاني في الصوم الروحي ، هو التوبة :

ونلاحظ في صوم أهل نينوى ، أنهم لم يصوموا فقط ، وإنما أيضاً

« رجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في أيديهم » وأن

الرب نظر إلى هذه التوبة أكثر مما نظر إلى الصوم « فلما رأى الله أعمالهم ،

أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه

بهم فلم يصنعه » (يونا ٣ : ٨ - ١٠) .

وهكذا يصحب الصوم أيضاً بالتذلل والإنسحاق أمام الله :

وهذا واضح في صوم نينوى ، إذ لبسوا المسوح وجلسوا على الرماد . كما هو واضح في سفر يوثيل : « قدسوا صوماً ، نادوا باعتكاف ... ليخرج العريس من مخدعه ، والعروس من حجلتها . ليبك الكهنة خدام الرب بين السرواق والمذبح ، ويقولوا : إشفق يارب على شعبك » (يوثيل ٢: ١٥-١٧) .

والصوم لا يقتصر على منع الجسد من غذائه ، وإنما يجب فيه من الناحية الإيجابية تقديم غذاء للروح .

وهكذا يرتبط الصوم بالصلاة ، كما تذكر صلوات الكنيسة ، وكما حدث في كل الأصوام المشهورة في الكتاب ، كصوم نحميا وعزرا ودانيال وأهل نينوى ...

وكما تدل عليه عبارة « نادوا باعتكاف » ...

إنه فرصة روحية ، تذل فيه الجسد ، لتسمو الروح :

إذلال الجسد هو مجرد وسيلة . أما الغرض فهو سمو الروح ، فتأخذ فرصتها في الصلاة والتأمل والقراءة وكل وسائل النعمة ، بعيداً عن معطلات الجسد ...

ونلاحظ أن الصوم غير الروحي مرفوض من الله :

كما رفض صوم المراثين (مت ٥) ، وصوم الفريسي (لوقا ١٨: ٩) .
والصوم الخاطيء في سفر أشعياء (أش ٥٨: ٣-٧) .



[٧] الحنطة والزوان

ليس عمالك أن تخلع الزوان ، إنما أن تنمو كحنطة ، حتى إذا ما جاء الحاصد العظيم ، يجد سنابلك مملوءة قمحاً ، فيجمع منها ثلاثين وستين ومائة ، وتمتلئ أهاؤه حنطة .

السيد المسيح لم يضع وقته في مقاومة أخطاء زمنه ...
لم ينفق فترة تجسده على الأرض صراعاً مع الخطيئين ومشاكل المجتمع والكنيسة ، إنما إهتم بالبناء ، بإرساء مبادئ جديدة ، وإعداد أشخاص يؤمنون بها وينشرونها في كل مكان .

إن الإهتمام في خلع الزوان ، فيه تبيد للطاقات ...
الشیطان مستعد أن يشغلك كل حين بالمشاكل ، وأن يقدم لك ما لا يحصى من الأخطاء ، لكي يلهيك بمقاومتها ومحاربتها ، عن العمل في بناء نفسك وبناء الملكوت .

وفي هذا الصراع يبدد وقتك وجهودك وأعصابك .

وفي خلع الزوان أيضاً قد تفقد سلامك الداخلي ، وربما سلامك مع الناس أيضاً ، إذ تحيا في صراع .

وهكذا تفقد هدوءك وصفاءك وربما تفقد وداعتك أيضاً . وقد تدخلك المشاكل في جو من الإضطراب ومن الخلافات التي لا تنتهى ، والتي تثيرك وتحيطك بالإنفعال الدائم .

وكما تفقد وداعتك وهدوءك ، قد تفقد بشاشتك أيضاً ، ولا يراك الناس إلا متجهماً لا ابتسامة لك ، وربما يملكك الغضب ويملكك الحزن ، ولا تحاول أن تتخلص منها لأنك تحسبه غضباً وحرزاً مقدساً ، لأجل الله ...
وقد يوصلك كل هذا ، إلى قساوة القلب ...

باستمرار تدين الناس المخطئين ، ثائراً على ما فيهم من أخطاء ، بحجة خلع الزوان منهم ، وباستمرار تكون في ضجيج ، وقد يرتفع صوتك على الناس ، وتنتهر ، وتوئخ ، وتنقث التهديدات ، وتكون متبرماً بكل شيء ...
وفي كل هذا ، قد تفقد محبتك للناس ، وتفقد إتضاعك ، وفيما تخلع الزوان من الناس ، تكون قد خلعت الحنطة التي فيك ، وينظر إليك الناس ، فيرونك مثل الزوان في كل شيء ...

قليلون هم الذين يستطيعون أن يخلعوا الزوان ، وفي نفس الوقت يحتفظون بحنطتهم . لذلك حسناً منع الرب أولاده من خلع الزوان ، لئلا يخلعوا معه الحنطة .

وحسناً قال الكتاب « لا تقاوموا الشر » ...

إن أحسن طريقة لخلع الزوان ، هي تقديم القدوة الصالحة التي تقضى عليه ، وكما قال الحكيم : « بدلاً من أن تلعنوا الظلام ، أضيئوا شمعة » ...



[٨] طرق لحل المشاكل

كل إنسان معرض للوقوع في مشاكل ، ولكن المهم هو كيف يعالج المشكلة ويحلها .

البعض يحاول أن يعالج المشكلة بالعنف وبالإصطدام . سواء كان عنفاً مادياً ، أو عنفاً في التصرف ، أو عنفاً في الكلام . حيث يحدث على من تسبب في المشكلة ، ويثور ، ويستخدم القوة والصوت العالي ، ويصطدم بالناس ، وربما في إصطدامه بهم يخسرهم ويفقد صداقتهم ومحبتهم ...

وإنسان آخر ، يحل المشكلة بالسلطة ، وبالأوامر والنواهي ، يحدث هذا بالنسبة لأب مع أولاده ، أو زوج مع زوجته ، أو رئيس مع مرؤوسيه . والسلطة أمر سهل ، لا يكلف صاحبه شيئاً . ولكن للسلطة ردود فعل كثيرة ، قد تكون أيضاً بنفس العنف ، وقد تؤدي إلى التمرد على السلطة ... وعلى الأقل ان انحلت المشكلة من الخارج ، لا تنحل في داخل القلب وفي المشاعر والعلاقات .

والبعض يقابل المشكلة بالهروب ، ويظن الهروب علاجاً ... هو لا يواجه المشكلة ، وإنما يحاول أن يوجها ، أو يبعد عنها ويهرب منها . ولكن في كل هذا لا يحلها ... قد تعاوده المشكلة بعد حين وتتعبه ، أو تظل أمامه قائمة .

وقد يحاول البعض أن يحل المشكلة بتجاهلها...

يحاول أن يقنع نفسه بأنه لا توجد مشكلة . و يظن أنه إن أغمض عينيه عنها سوف لا يراها ، وهذا لا تتعبه ! وتظل المشكلة قائمة ، ولكنه لا يتكلم عنها ، ولا يفكر فيها ، ولا يفحصها ...

ولكن المشاكل لها حلول كثيرة...

تحل بالتفكير الهادئ السليم ، وبالْحكمة ، كما كان سليمان الحكيم يحل المشاكل التي تعرض له أو عليه .

وتحل المشكلة بالصلاة ، بعرضها على الله ، وبأصوام أحياناً وقداسات ، كما كان يفعل القديسون ...

وإن كانت بعض المشاكل تحتاج إلى بت سريع ، إلا أن مشاكل أخرى قد تحل بالصبر وطول البال ...

ليس من اللائق أن تحل المشكلة بمشكلة .

ولا يليق أن تحل المشكلة بخطأ ، أو بطريق غير روي ، مثل أولئك الذين يحلون المشاكل بالكذب ، أو بالدهاء ، أو بالحيلة البشرية واللف والدوران ، أو بخداع الناس !!



[٩] كلمات تعزية في الشدائد

قال داود النبي للرب : « أذكر لي كلامك الذي جعلتني عليه
أأكل ، هذا الذي عزاني في مذلتني » ، وأنت أيضاً في فترات
مذلتك وضيقتك ، أذكر الآيات الآتية فتعزى :

• ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠)

• كل آلة صورت ضدك لا تنجح .

• « لا تخف لأني معك » ، « أنا هو لا تخافوا » .

• قفسوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم وأنتم

تصمتون (خر ١٤ : ١٤)

• لولا أن الرب كان معنا ... حين قام الناس علينا لا بتلعونا ونحن

أحياء ... مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم . نجت أنفسنا مثل

العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا . عوننا من عند الرب

الذي صنع السماء والأرض (مز ١٢٤)

• الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين .

• وها أنا معك ، وأحفظك حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه

الأرض (تك ٢٨ : ١٥)

• يحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأني أنا معك يقول الرب ،

لأنقذك (أر ١٩ : ١٩)

* لا تخف . بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك . ولا يقع بك أحد
ليؤذيك (أع ١٨: ٩، ١٠).

* فى العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا ، أنا قد غلبت العالم .
* مراراً كثيرة حاربونى منذ صباى ... وإنهم لم يقدرُوا على ... على
ظهري جلدنى الخطاة وأطالوا إثمهم . الرب صدّيق هو يقطع أعناق الخطاة
(مز ١٢٩).

* دُفعت لأسقط والرب عضدنى (مز ١١٧).

* إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى
(مز ٢٢).

* يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات ، وأما أنت فلا
يقتربون إليك . بل بعينيك تتأمل ، ومجازاة الخطاة تُبصر (مز ٩٠) .
* الرب يحفظك من كل سوء . الرب يحفظ نفسك . الرب يحفظ
دخولك وخروجك (مز ١٢١) .

* الرب نورى وخلصى ، ممن أخاف؟! الرب عاضد حياتى ، ممن
أرتعب؟! إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىّ قتال ففى
هذا أنا مطمئن (مز ٢٦) .

* تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار . استله وانجح واملك .

* أبواب الجحيم لن تقوى عليها ...



[١٠] التفكير النظرى والحياة العملية

التفكير النظرى ، هو مجرد فكر ، بلا خبرة ، بلا دراسة ميدانية للواقع وما فيه ... يتخيل هذا التفكير أن الأمور تسير طبيعية جداً ، بلا معطلات فى الطريق ! ... تسير حسب قوانين معينة يضعها هذا المفكر فى ذهنه .

تماماً مثل شخص يقول إن المسافة فى البحر بين بلدين هى كذا ميل . فإذا سافرت السفينة بسرعة معينة ، تصل فى كذا يوم وكذا ساعة ... ثم تنزل السفينة فى الواقع العملى ، وقد تصدمها الأمواج والرياح فلا تستطيع الحركة ، وربما تقاوم بصعوبة أو تتغير إتجاهها ... وتصل بعد أيام ، أو لا تصل !!

إن الواقع العملى مملوء بالعوائق والمعطلات ، التى لا يعرفها إلا من اختبر الحياة العملية فى تفاصيل تفاصيلها .

المفكر النظرى يجلس على مكتب ، ويكتب أفكاراً ، مجرد أفكار... وقد يتعجب لماذا لم تنفذ !! وربما ينتقد ويلوم ، وربما يصل به الإنتقاد إلى حد الإتهام ! ... على الأقل إتهام غيره بالتقصير ، أو التهاون ، أو عدم المعرفة !!

وفى اتهاماته النظرية ، لا يدرى شيئاً عن العوائق العملية . وعلى رأى المثل « ويل لعالم أمر من جاهله » .

فلو علم هذا المفكر بطبيعة الجو، وبالنتائج العملية ،
وبالعقبات ، ربما صحح الكثير من تفكيره ...

إن عائقاً وحيداً ، ربما يقلب خطأً كثيرة حكيمة ...

والإنسان العملي ، الذى اصطدم بالواقع وجرب الحياة ، يدرك تماماً
أن الأمور لا تسير وفق خطته وحسب هواه .

إنه خبير بالأرض التى يمشى عليها ... يفترض بعض خطته ، فإن هذا
أيضاً موضوع فى حسابه ... وكل فشل يقابله ، يزيده حنكة وخبرة ، ويجعل
تفكيره المقبل أكثر واقعية ...

المفكر النظرى قد يظن أن الإصلاح يتم بإصدار مجموعة من الأوامر
والقرارات ... أما المفكر العملي ، فيسأل ماذا عساها تكون فاعلية هذه
القرارات ...

وإذا أصدر قراراً يتابعه عملياً ، ليرى خط سيره ، هل سار طبيعياً ، أم
توقف ؟ وما الذى أوقفه ؟ وما علاجه ؟ وهل يحتاج القرار إلى
تعديلات ؟ ...

يا أخى ، لا تكن نظرياً فى تفكيرك ، ولا تنتقد غيرك بسرعة . بل
إدرس الواقع ، وكن عملياً ...



[١١] الغضب البشرى

أحياناً يوجد غضب مقدس من أجل الله ، ولكنه لا يتصف بالعصبية وفقدان الأعصاب ، إنما هو غيرة مقدسة .

أما الغضب البشرى فيقول عنه يعقوب الرسول « ... لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله » (يع ١ : ٢٠)

وما أكثر أقوال الآباء القديسين في ذم الغضب .

قال مار أوغريس « صلاة الغضوب هى بخور نجس مردول ، وقربان الغضوب ذبيحة غير مقبولة » . وقال أيضاً « إن الغضب هو حركة للجنون ... يجعل النفس مثل الوحوش ... عينا الغضوب شريرتان مملوءتان دماً . أما وجه الوديع فهو بهى ، وعيناه تنظران بحشمة » ...

وكان الأنبا أغاثون يقول : لو أن الغضوب أقام أمواتاً ، فما هو مقبول عند الله ، ولن يقبل إليه أحد من الناس .

قال شيخ : إن الذى يخاصمه أخوه ولا يحزن قلبه ، فقد تشبه بالملائكة . فإن خاصمه هو أيضاً ، ثم رجع لساعته فصالحه ، فهذا هو عمل المجاهدين . أما الذى يحزن أخوته ، ويحزن منهم ، ويمسك الحقد فى قلبه ، فهذا مطيع للشيطان ، مخالف لله ، ولا يغفر له الله ذنوبه إذا لم يغفر هو لأخوته ...

وقال مار افرام السرياني : السخوط يقتل نفسه . وهو غريب عن
الملازمة وعادم الصحة ، لأن جسمه يذوب كل حين ، ونفسه مغمومة . وهو
ممتوت من الكل .

وقال مار افرام أيضاً : من يخفى في قلبه حقداً ، يضاهى من يرى في
حجره حية . الدخان يطرد النحل ، والحقد يطرد المعرفة من القلب .
وقال أنبا أشعيا : الغضب هو أنك تريد أن تقيم هواك وتغلب
بالمقاومة ، وما قطعت هواك بالإتضاع .

وقال القديس أوغسطينوس : ما هو الغضب ؟ إنه شهوة الإنتقام ...
وإن كان الله على الرغم من إساءاتنا ، إلا أنه لا يشاء أن ينتقم لنفسه
مثلاً ، فهل نطلب نحن أن ننتقم لأنفسنا ، ونحن نخطيء في كل يوم إلى
الله !؟

وقال القديس اغريغوريوس أسقف نيصص : إن الغضب يجعل
المراة السوداء تنتشر في الجسد كله ...

وقال القديس يوحنا الأسيوطي : سلاح الغضب يؤذى صاحبه ...
الغضب في القلب مثل السوس في الخشب .

وإن رجعنا إلى الكتاب المقدس ، نجده يقول « لا تسرع إلى
الغضب ، لأن الغضب يستقر في حضن الجهال » (جا ٧ : ٩) ،
ويقول أيضاً « لا تستصحب غضوباً ، ومع رجل ساخط لا
تحيء ... » (أم ٢٢ : ٢٤) .

[١٢] العناد

الإنسان المتواضع يمكن أن يتنازل عن رأيه ، ولا مانع من أن يعترف أنه قد أخطأ ، ويصح الخطأ ...

الإنسان الوديع ، بالسهولة يتعامل مع كل أحد ، ولا يكون كثير الملاجحة ، أو عنيداً في رأيه .

إنه يبحث الرأى الآخر في توقير واحترام ، كشخص محايد وليس كخصم . وبكل نزاهة يفحص ما فيه من نفع . وإن رأى الرأى المخالف سليماً يقبله ...

هناك أناس تخاطبهم فتشعر أن عقولهم موصدة تماماً أمام كل تفاهم . لا يقبلون إلا الموافقة على رأيهم ، وفي عناد يصدون كل ما عداه بغير فهم ولا نقاش ...

وقد يستمر الإنسان في عناده ، مهما كان عدد معارضيهِ في الرأى ، ومهما كانت مراكزهم ، ومهما كان كلامهم مقنعاً ... إنها صلابة ، قد تكون مبنية على كبرياء دفينه ، ترى التنازل عن الرأى ضد الكرامة وعزة النفس .

وقد يستمر الإنسان في عناده زمناً طويلاً . وقد يرى بنفسه النتائج السيئة التي جلبها إصراره على موقفه ، وتمسكه

بخطئه ، ولا يبالي في عناد .

من أمثلة هؤلاء المعاندين ، الهراطقة الذين لم يسمعوا للكنيسة كلها ، ولا للمجامع . وقسموا الكنيسة ولم يبالوا .

الإنسان المعاند ، يخسر الناس ، ويخسر نفسه ، وقد يخسر إيمانه أيضاً ، وبالتالى يخسر أبديته ...

وفى نفس الوقت يخسر نقاوة قلبه ... لا تواضع ، ولا حب ، ولا تفاهم ، ولا لطف ...

على أن هناك فرقاً كبيراً بين العناد ، والثبات على الحق . لأن العناد الذى نقصده هو الإصرار على الخطأ ...

والعجيب أن العنيدى قد يبررون عنادهم بأنه قوة شخصية ، وقد يتصورون أنهم أبطال فى مقاومتهم ...

وقد يعجب بهم بعض ضعاف الشخصية ، وبعض المنساقين . وإذا يرون كثيرين حولهم ، يزداد عنادهم أكثر فأكثر ، ويظنون أن الكثرة العددية تسندهم ، أو أنها دليل على صحة رأيهم ومسلكهم ...

والكتاب يربط بين العناد وقساوة القلب ...

فالخطاة المعاندون ، المصرون على خطئهم ، هم قساة القلب ، لم يلبتوا أمام عمل النعمة ... ويقول لهم الرسول « إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم ... » (عب ٣: ٧) .



[١٣] الصليب في حياتنا « أ »

بمناسبة عيد الصليب ، نذكر الكلمات الآتية :

* أول علاقة لنا بالصليب ، هي في المعمودية ، حيث صُلب إنساننا العتيق حتى لا نستعبد بعد الخطية ...

* والصليب قد حملته الكنيسة في حركة الإستشهاد وفي كل الإضطهادات التي لحقت بها على مر العصور ...

والجميل في هذا الصليب أن الكنيسة قد حملته بفرح وصبر ، دون أن تشكومنه أو تتذمر ...

* تحول الصليب في حياة الكنيسة إلى شهوة تشتهيها وتسعى إليه . وكان إقبال المسيحيين على الموت يُذهل الوثنيين ، وكانوا يرون فيه الإيمان بالأبدية السعيدة ، واحتقار الدنيا وكل ما فيها من ملاذ ومتع ...

* تحولت السجون إلى معابد ، وكانت ترن فيها الألحان والتسابيح والصلوات من مسيحيين فرحين بالموت ...

* وثالث مجال نحمل فيه الصليب هو الباب الضيق ... فيه يضيق الإنسان على نفسه من أجل الرب . يبعد عن العالم وكل شهواته . ومن أجل الله يزدري بكل شيء . في سهر ، في أصوام ، في نسك ، في ضبط النفس ، في احتمال لإساءات الآخرين .

« ويمكن أن يدخل في هذا المجال صليب التعب ...

فيتعب الإنسان في الخدمة من أجل الرب. ويتعب في (صلب الجسد مع الأهواء) كما يقول الرسول « ويتعب في الجهاد وصلب الفكر، والانتصار على النفس و يعلم في كل ذلك أنه « ينال أجرته بحسب تعبه » حسبما قال بولس الرسول (١ كور ٣: ٥).

« والمسيحية لا يمكن أن نفصلها إطلاقاً عن الصليب ...

والسيد المسيح صارحننا بهذا الأمر، فقال « في العالم سيكون لكم ضيق » وقال أيضاً « تكونون مُبغضين من الجميع لأجل إسمى » ...
* ونحن نفرح بالصليب ، ونرحب به ، ونرى فيه قوتنا كما قال الرسول « كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، أما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله » .



[١٤] الجديدة

ربما تتصف بعض علاقاتنا بالناس بالجدية ، ولكن هل علاقتنا بالله لها نفس طابع الجدية ؟

هل وعودنا لله هي وعود جادة ؟ وهل قراراتنا الخاصة بحياتنا الروحية هي قرارات جادة ؟ أم نحن نعد ولا ننفذ ، نقرر ولا نفعل ، كما لو كنا غير ملتزمين بشيء ؟!

هل ندورنا لله هي ندور ثابتة تتصف بالجدية ؟ أم نحن نبرم مع الله إتفاقات هامة ، في لحظات حرجة من حياتنا ، ثم يزول الحرج فنلغى كل إتفاقاتنا ، أو نحاول تغييرها ؟

وحيثما نتقدم للتناول من السرائر المقدسة ، عازمين من كل قلوبنا على حياة مقدسة مع الله ، هل نحفظ بهذا الشعور ، أم ننسى تعهدات قلوبنا ، ولا نسلك بجدية في حياة التوبة ؟! ...

هل لنا خط واضح معروف نسلك فيه بثبات ، أم نحن كريشة تتجاذبها الرياح ، بلا جدية ؟

هل هذه الجدية في الحياة الروحية ، تلتزم بمبادئ معينة من النقاوة بلا انحراف ، ومن وسائل النعمة بلا كسل ، ومن الخدمة بلا تراخ ؟

القديسون الذين تابوا ، مثل موسى الأسود وأوغسطينوس ومرم
القطبية ، كانت توبتهم تتصف بالجدية ، فلم يعودوا مطلقاً إلى حياتهم
القديمة التي تركوها بلا رجعة ...

والذين أقاموا مع الرب صداقة وعشرة ، لم يخونوه في هذه الصداقة ، بل
ظلوا مخلصين له في جدية ، يشعرون بالتزام قلبي وعملي من نحو محبته ...
الجادون في حياتهم الروحية ، لا تترشحهم التجارب ولا الإغراءات
ولا ينسون مطلقاً أنهم هياكل لله وأن روحه ساكن فيهم ، ولا ينسون أنهم
أبناء لله ، وأنهم يجب أن يظلوا محتفظين بصورته ومثاله ...

الجادون في حياتهم الروحية ، تظهر الجدية في كل مظهر من مظاهر
حياتهم : في كلامهم ، وفي تصرفاتهم ، وفي خدمتهم ، وفي عباداتهم ، وفي
علاقاتهم بالآخرين ، وفي موقفهم الحازم من الأفكار ومن المشاعر المحاربة
للقلب .

إنهم أصحاب مبادئ ، ولهم إلتزام تجاه مبادئهم .
لينا نعيش جميعاً بهذه الجدية ، فهي صفة من صفات أولاد الله . وهي
دليل على الثبات ...



[١٥] الألفاظ الرقيقة

* الإنسان الروحي لا يستخدم ألفاظاً قاسية ، إنما ألفاظه رقيقة ، لأنه من ثمار الروح القدس (لطف) ، فهل أنت تتميز باللطف في كلامك ومعاملاتك ؟ ...

* أنظر إلى السيد المسيح ، وهو يكلم المزأة السامرية ، وهي امرأة خاطئة جداً ، يقول لها « حسناً قلت إنه ليس لك زوج ، لأنه كان لك خمسة أزواج والذي معك الآن ليس هو لك » ، عبارة (أزواج) عبارة رقيقة جداً ، لأنهم لم يكونوا أزواجاً ولكن الرب لم يستخدم العبارة الأخرى الشديدة . كما أن قوله « الذي معك ليس هو لك » هي أرق أسلوب ، لم يضمنه أي لفظ جارح ...

* بدلاً من أن تجرح الناس ، حاول أن تكسبهم ...

* إن بولس الرسول لما دخل أثينا واحتدت روحه ، إذ وجد المدينة مملوءة أصناماً ، قال لهم في رقة « أيها الرجال الأثينيون ، إنى أرى على كل حال إنكم متدينون كثيراً ... » .

* والسيد الرب حينما تكلم عن أيوب ، إمتدحه بكلمات رقيقة أمام الشيطان بقوله إنه « ليس مثله ، رجل كامل ومستقيم ، يفعل الخير ويحيد عن الشر » ، بيما ليس أحد كامل إلا الله وحده ...

* بل ما أرق كلام الله في حديثه عن نينوى ، المدينة الخاطئة ،
الأممية ، التي لا يعرف أهلها بينهم من شمالهم قال « أفلا أشفق أنا على
نينوى المدينة العظيمة » ... أكانت نينوى عظيمة حقاً ، أم هي رقة
الرب ؟ ...

* ومن رقة الله في ألفاظه ، الأسماء التي أطلقها على الناس ، فقد
سمى سمغان (بطرس) أى صخرة ، وسمى ابرآم (إبراهيم) أى أبو
جمهور... كلها تحمل مديحاً...

من أشهر القديسين الذين كانوا مشهورين بالكلمة الطيبة ، القديس
ديديموس الضرير ، ناظر الإكليريكية في القرن الرابع .

لم يكن هدفه أن يغلب الناس ، إنما أن يكسبهم . فلم يحاول أن
يحطمهم ، بل كان يقنعهم .

* لقد أدان الرب الكلمات القاسية . فقال « من قال لأخيه (رقا) ،
يكون مستوجب المجمع . ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم » .
إن الألفاظ القاسية ، لا يرضى عنها الله الوديع المحب ، الذى كان
حلقه حلاوة ، وشفته تقطران شهداً .



[١٦] الطموح

✽ الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله ، والله غير محدود ، لذلك فالإنسان - مع أنه محدود - يحمل في داخله اشتياقاً إلى اللا محدود . ومن هنا جاء اشتياقه إلى الخلود والحياة الأبدية . ومن هنا كان أيضاً اشتياقه للكمال ، وبسبب هذا وجدت مشاعر الطموح عند الناس ...

الإنسان الخامل ليس على صورة الله . أما الإنسان الذي له الصورة الإلهية ، فهو يقول كبولس الرسول :
« أنسى ما هو وراء ، وأمتد إلى قدام » ...

وهذا طموح روحي ، يسعى فيه الإنسان نحو الكمال الروحي . وأمام مثالياته الكاملة ، يرى كل ما وصل إليه مهما سما ، كأنه لا شيء ، فينساه ويمتد إلى قدام ...

ومن هنا نشأ تواضع القديسين ، وتعبهم في الجهاد ...

ومن هنا نشأ أيضاً التموى في حياة الروح ...

وهذا الطموح كله ، مقبول ، ومطلوب ، وروحي ، ويعتبر لونا من الفضيلة ، ولا يعترض عليه أحد .

على أن هناك طموحاً رديئاً في الماديات ...

مثل طموح الغنى الغبى الذى قال « أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها وأقول لنفسى لك خيرات كثيرة لسنوات عديدة » .

فما هى عيوب الطموح المادى ؟

١ - العيب الأول هو تعلق القلب الماديات ، تعلقاً يتملك الشعور والوقت ، ويقتل كل رغبة روحية أخرى .

٢ - والعيب الثانى ، هو دخول الإنسان فى منافسات تفقده محبته للآخرين ، وتغريه بأن يبني مجده الخاص على أنقاض الناس وعلى الإصطدام بهم وهدمهم . مثل من يطمح أن يكون الأول أو الرئيس ، فيعمل على التخلص من كل منافسيه ...

٣ - والعيب الثالث : هو أن يتحول الطموح إلى نوع من الطمع أو الجشع الذى لا يكتفى مهما أخذ ومهما نال .

٤ - والعيب الرابع : أن تكون الوسيلة إلى الطموح وسيلة خاطئة أو غير روحية ، يهدم فيها الإنسان بعض مثالياته وروحياته ، لكى يصل إلى غرضه ...

٥ - وقد يمتد الطموح إلى السلطة ، فيتحول الإنسان إلى طاغية ، يحطم كل من يقف فى طريق نفوذه ...

٦ - وقد ينسى الإنسان أبعديته فى كل هذه الألوان من الطموح ، وتصير اتجاهاته دنيوية بحتة ...



[١٧] لغتك تظهرك

كلامك يدل عليك ، يظهر شخصيتك ، يكشف ما في داخلك
« بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان » .

والكلام ليس بالشيء الهين : بالإدانة يمكن أن تدان . وبكلمة
« أحمق » تستحق نار جهنم . وبعض الكلام ينجس الإنسان كما قال
الرب . ويعقوب الرسول يقول عن اللسان إنه « نار » وأنه « يضر من
جهنم » .

وأخطاء اللسان كثيرة ، جعلت القديسين يحبون الصمت :
منها التجديف ، والكذب ، والشتيمة ، والتهمك ، وكلام الهزؤ ،
وكلام القسوة والغضب والمرارة والحقد ، وكلام الكبرياء والفخر ،
والمبالغة ، وكلام التملق والرياء والنفاق ، وشهادة الزور ومقاطعة
الآخرين ، والمناقشات الغبية ، والثرثرة ... الخ

وهناك أخطاء قاصرة على صاحبها ، وأخرى معثرة للغير :

مثل ما يصبه الشخص في آذان غيره ، من أحاديث تتلف نقاوة قلوبهم
وافكارهم ، أو تتلف إيمانهم وسلامة معلوماتهم ، أو تتلف علاقاتهم
بالآخرين وتوقع بينهم ، أو تجعلهم يغيرون فكرتهم عن أصدقائهم ... وكم
من ضحايا للكلام !!

والكتاب ينصحنا بالبطؤ في الكلام ، على الأقل لنفكر...
قال يعقوب الرسول « ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الإستماع ، مبطئاً
التكلم ، مبطئاً في الغضب... » .

إن الذي يسرع في كلامه ، أو يندفع فيه ، عرضة للخطأ . وقد يندم ،
لكن بعد أن يتكلم ، ويسجل كلامه عليه ، ولا يستطيع أن يسترجعه...
ومع كل هذا ، هناك كلام مفيد ، وكان السواح يأتون إلى آبائنا
من أقصى الأرض ، طالبين كلمة منفعة...

هناك كلمات الروح ، وكلمات النعمة ، الكلمات التي يضعها الله
في أفواه الناس لكي يبلغوها لهم « لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم »
الناطق في الأنبياء...

ولهذا يقول المرغم « إفتح يارب شفتي ، فينطق في بتسبيحك » ، فهل
الله هو الذي يفتح شفتيك ؟ ...

ومن الكلام الطيب : كلمة البركة ، وكلمة التعزية ، وكلمة
التشجيع ، وكلمة الحل ، وكلمة الإرشاد ، وكلمة التعليم ، بل أيضاً كلمة
التوبيخ إذا قيلت بحجة .

والكلمة التي من الله لا ترجع فارغة ، بل هي قوية وحية
وفعالة ، تحترق القلب ، وتأتي بثمر ، وتغير النفوس .

تكلم إذن حين يحسن الكلام ، واعرف كيف تتكلم ومتى .

[١٨] الإنسان العملي

هناك أشخاص يعيشون في الخيال ، يسبحون في آمال من خيال ،
و يبنون قصوراً من خيال ، ويعيشون في أحلام اليقظة ، ولا يصلون إلى
شئ ، لأنهم غير عمليين .

و يعكس ذلك أناس عمليون ، يعيشون في الواقع ، ويتصرفون بما
يناسب هذا الواقع ...

الذي يعيش في آمال الخيال ليس عملياً . وماذا أيضاً :
والذي يبكى على الماضي ، دون أن يعمل للحاضر ليس هو عملياً ،
إن البكاء لا يفيد شيئاً .

والذي ينظر إلى المشكلة فينهار ، دون أن يفكر في حلها ، ليس هو
عملياً . إن الإنهيار لا ينقذه ...

والذي يتصرف بمجرد التصرف ، دون أن يفكر في نتائج عمله ، وفيما
تحدثه من ردود فعل ، ليس هو عملياً .

والذي يعامل الناس بعقليته هو ، دون أن يضع في اعتباره عقليتهم ،
ونوع فهمهم ، ليس هو عملياً .

وكذلك من يصدق كل من يدعه ، ويصدق كل من يبتسم في

وجهه ، ويظن أنه مادام قد اقتنع بأمره ، فلا بد أن هذا الأمر صحيح ،
والكل يقتنعون به ! ليس هو عملياً ...

والذى يظن أن من حقه أن ينتصر وأن يطاع ، لمجرد أنه فلان ... ليس
هو عملياً .

الإنسان العملي ، يعيش في الواقع ، بكل ما في هذا الواقع من
ظروف ، وبكل ما فيه من معقوبات ومن مشاكل ، لا يتجاهل منها
شيئاً ...

والإنسان العملي ، يعامل الناس كما هم ، وليس كما ينبغي أن
يكونوا . لا يفترض مثاليات خيالية للناس الذين يتعامل معهم ، إنما
يعرف أنهم بشر ، كسائر البشر ، بكل ما في البشرية من ضعفات
ونقائص .

الإنسان العملي لا يعالج مشاكله بالبكاء ولا بالندب ، ولا بالضجيج
ولا بشكوى من هذا الزمان ومن يعيش فيه . إنما يقابل مشاكله بالفكر
الرصين والحكمة والحلول العملية ، ويطلب من الرب أن يبارك عمله
وينجحه ...

الإنسان العملي لا يعيش بكلمة (لو) ...

ولا يفكر طول عمره في الماضي ، وإنما يأخذ من الماضي دروساً ،
ويعمل للحاضر والمستقبل ، بكل جهده ...

[١٩] التلمذة

التلمذة تبدأ في حياة الإنسان ، ولكنها لا تنتهى ...

وهذه التلمذة تأخذ في حياة الإنسان ألواناً متعددة ، تتنوع بحسب مراحل العمر التي يجتازها ...

فمرحلة الطفولة تمثل التلمذة التي تصدق كل شيء ...

التلمذة التي تطلب التعليم ، وتسال ، وتريد أن تعرف وتقبل كل شيء بلا جدل ، وتلتقط بالإقتداء أشياء كثيرة .

وفي المرحلة الابتدائية والإعدادية مرحلة أخرى من التلمذة التي تفهم وتستوعب . وفي المرحلة الثانوية التلمذة التي تناقش وتجادل ، وتخزن المعلومات بعد فحصها ...

أما في المرحلة الجامعية ، فنوع آخر من التلمذة التي تشترك في البحث وتحضير المعلومات ، وتعتمد بعض الشيء على نفسها .

وبعد المرحلة الجامعية ، تبدأ مرحلة أخرى من التلمذة على الحياة ، حينما يدخل الشخص في خضم الحياة العملية .

مرحلة لا تحدد فيها المناهج ، ولا تحدد مواعيد للإمتحان ، إنما يمتحن الإنسان عملياً ، في أى وقت ، في أى شيء ، بلا سابق تحضير ولا استعداد ...

وانتم تحتاجون أن تستعدوا لاختبارات الحياة...
ويمكنكم التلمذة على خبرات غيركم ، وكذلك التلمذة على
الكبار، على المرشدين والآباء الروحانيين . وكذلك يمكنكم التلمذة
على الكتب...

يحتاج الإنسان أن ينهل من كل منابع المعرفة ، بشيء من الحكمة
والحرص ، والفحص ، وغرابة المعلومات .

تحتاجون أن تتعلموا الحياة ، وتعرفوا كيفية التصرف ، وكيفية التعامل
مع الناس ومع الرؤساء ، وكيفية الكلام :

متى يتكلم الشخص ، وكيف يتكلم ، ومتى يكون حازماً ، ومتى
يساهل ، ومتى يدقق ، ومتى يعاقب ، ومتى يسامح ...

بل إن محب التلمذة ، يتلمذ على كل شيء ...
يتعلم النشاط من النملة ، ويتعلم الإيمان من العصافير التي لا تزرع ولا
تحصد ولا تخزن ، وأبوكم السماوي يقوتها ...

سعيد من يعيش تلميذاً طول عمره ...
يتعلم أكثر مما يعلم غيره . ويزداد في كل يوم علماً ومعرفة . ويكون
له التواضع الذي يقبل به التعليم من كل أحد ومن كل شيء ...



[٢٠] فرح حقيقي وفرح زائف

الفرح الحقيقي هو ثمرة من ثمار الروح القدس في القلب ، إذ يقول الكتاب : أما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام (غل ٥ : ٢٢) . وهو فرح في الرب كما قال الرسول .

على أنه توجد أمثلة كثيرة للفرح الزائف :

مثل فرح يونان النبي باليقطينة التي ظلمت على رأسه ، ومثل فرح سليمان بكل تبعه الذي تبعه تحت الشمس ، بينما وجد أخيراً أنه باطل وقبض الريح ، ومثل قوله في ذلك « قلب الجهال في بيت الفرح » .

ومن أمثلة الفرح الزائف قول الإبن الأكبر لأبيه « قط لم تعطني جدياً لأفرح مع أصدقائي » .

على أن هناك فرحاً آخر ، هو خطيئة :

من أمثلته قول الحكيم « لا تفرح بسقوط عدوك » (أم ٢٤ : ١٧) . وعنه قال الرسول أيضاً في حديثه عن المحبة بأنها « لا تفرح بالإثم » (١ كو ١٣) .

وقد وبخ السيد المسيح تلاميذه لما فرحوا بخضوع الشياطين لهم ، وقال لهم « لا تفرحوا بهذا... بل افرحوا بالحرى أن أسماكم قد كتبت في ملكوت الله » ...

الفرح الحقيقي إذن هو الفرح المقدس بالرب ...
وفرح الحياة الروحية وبكل الوسائط الروحية أيضاً ...

يقول المرتل « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » ، و يقول أيضاً « فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة ، و يقول « باسمك أرفع يدي ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم » ... وهكذا يرى فرحه فى كل ما يقرب إلى الرب .

والإنسان أيضاً يفرح بالتوبة لأنها صلح مع الله ...

وفى هذا الفرح بالخلاص ، تشترك السماء أيضاً لأن « السماء تفرح بخاطيء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين لا يحتاجون إلى توبة » ...

الرجاء أيضاً مصدر للفرح (فرحين فى الرجاء) ر ١٢

بل إن التجارب نفسها تفرح المؤمن « إحسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة » (يع ١)

وأعظم فرح هو بقاء الرب فى الملكوت .

حينما يقول للمؤمن « أدخل إلى فرح سيدك » .



[٢١] بعض تداريب للصمت

من الصعب لمن يجيأ في وسط المجتمع أن يصمت صمتاً مطلقاً ولكنه يتدرب على الصمت بما يأتي :

١ - الإجابات المختصرة القصيرة :

فما تكفي كلمة أو جملة للإجابة عنه ، لا داعي للتطويل فيه والإسهاب وكثرة الشرح . تكفي الجملة الواحدة .

٢ - عدم الكلام في كل موضوع :

هناك موضوعات ليست من اختصاصاتك ، فلا داعي للكلام فيها ، وبخاصة ما يتعلق بأسرار غيرك .

كذلك لا داعي للكلام في أمور ليست من تخصصك ، كـ بعض أمور علمية عميقة ، وبعض أمور فنية وسياسية تفوق معرفتك .

٣ - البعد عن أخطاء اللسان :

مثل الإدانة ، والتهكم ، وكلام العيب ، والثرثرة ، والجدل غير النافع ، وكلام الغضب والإهانة ... الخ

٤ - عدم البدء بالكلام إلا لضرورة :

إذا كلمك أحد ، جاوب باختصار . وإن لم يكلمك ، أصمت ، إلا إذا كان هناك أمر يلزمك بالكلام ، بحيث إذا ظلت صامتاً تقع في خطأ

معين ...

[٢٢] درجات في الإيمان

قد يوجد إنسان « ضعيف في الإيمان » (رو ١٤ : ١) .
أو « قليل الإيمان » (مت ١٤ : ٣١) .

وآخر يحتاج أن يكمل « نقص إيمانه » (اتس ٣ : ١٣) . وثالث
« بطيء القلب في الإيمان » مثل تلميذى عمواس (لو ١٤ : ٢٥) .
وعلى عكس هذا ، توجد درجات في الإيمان ...

إنسان مؤمن ،

وآخر « غير حديث في الإيمان » (١ تي ٣ : ٦) ،

وثالث « إيمانه ينمو » (٢ تس ١ : ٣) ، أو أنه « يزداد في

الإيمان » (٢ كو ٨ : ٧) ،

ورابع « ثبت على الإيمان » (كو ١ : ٢٣) ،

وخامس « راسخ في الإيمان » (ابط ٥ : ٩) ،

وسادس من « الأغنياء في الإيمان » (يع ٢ : ٥) ،

وأعلى من كل هذا سابع « مملوء من الإيمان » (أع ٦ : ٥) ،

وقال الرب عن البعض « عظيم هو إيمانك » (مت ١٥ : ٣٨) .

ويوجد إيمان قوى « تتبعه الآيات » (مز ١٦ : ١٧) ، وإيمان

« ينقل الجبال » (١ كو ١٣ : ٢) ، وإيمان أكثر من هؤلاء يستطيع كل

شيء مستطاع للمؤمن» (مر ٩: ٢٢) .

وأمام كل هذا ، ما هو وضعك الإيماني ؟

هل أنت مؤمن حقاً ؟ هل لك « الإيمان العامل بالمحبة »

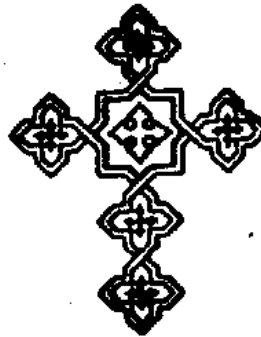
(غل ٥: ٦) ؟ وهل تنمو في الإيمان ؟ أم قوى وعظيم هو إيمانك ؟ أم أنت

تحتاج إلى صلوات « لكى لا يفنى إيمانك » (لو ٢٢: ٣٢) .

أيها الإخوة « إختبروا أنفسكم : هل أنتم في الإيمان ؟ إمتحنوا

أنفسكم ؟ » (٢ كو ١٣ : ٥) .

إن كلمة الإيمان تحمل ولا شك معاني عميقة ...



[٢٣] الصلاة

الصلاة هي فتح القلب لله ، لكي يتحدث معه المؤمن حديثاً ممزوجاً بالحب ، وبالصراحة . هي عرض النفس أمام الله .

الصلاة هي صلة ، صلة بين الإنسان والله . فهي إذن ليست مجرد حديث ، إنما قلب يتصل بقلب .

الصلاة هي شعور بالوجود في حضرة الله . هي شركة مع الروح القدس ، والتصاق بالله ...

الصلاة هي طعام الملائكة ، والروحيين ، بها يتغدون ، ويزوقون الرب « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٤ : ٨) .

الصلاة هي ارتواء نفس عطشانة إلى الله « اشتاقت نفسي إليك ، كما يشتاقي الإيل إلى جداول المياه » (مز ٤٢ : ١) ، « باسمك أرفع يدي ، فتشبع نفسي كما من شحم ودسم » (مز ٦٣ : ٥) .

الصلاة هي تسليم الحياة لله ، ليديرها بنفسه « لتكن مشيئتك » .
الصلاة هي اعتراف بعدم كفاية جهدنا ، وعدم كفاية ذكائنا ، ولذلك نلتجىء إلى قوة أعلى منا ، ونجد فيها رعايتنا ...

الصلاة هي إلغاء لاستقلالنا عن الله ...
هي التقاء مع الله : نصعد إليه ، أو ينزل إلينا ...

هي تحويل النفس إلى سماء ، وإلى عرش الله...

ليست الصلاة فرضاً ، ولا لأمراً ، ولا مجرد وصية ، ولا مجرد تقوى
وعبادة ... إنها رغبة وشوق ... وإلا كانت ثقيلة ، نارسها بتغصب ، من
أجل الطاعة !!

الصلاة ليست مجرد طلب . فقد يصلي الإنسان ولا يطلب شيئاً ... إنما
يتأمل جمال الله ، وصفاته المحيية إلى النفس ... هكذا صلاة التسييح
والتمجيد ... أسمى من الطلب ...

لا يستطيع أن يتمتع بالصلاة كما ينبغي ، من له طلب آخر غير الله
وحده .

الصلاة هي موت كامل عن العالم ، ونسيان كلي للذات ، حيث لا
يكون في الفكر سوى الله وحده ...

الصلاة هي السلم الواصل بين السماء والأرض . هي جسر نعبه إلى
السماويات ، حيث لا عالم هناك ...

إنها مفتاح السماء ...

إنها مجموعة من مشاعر ، تتجسد في كلمات ...

وقد توجد صلاة بلا كلام ، بلا أفاظ ...

خفقة القلب صلاة ... ودمعة العين صلاة ... وإحساس النفس بوجود

الله صلاة ...

في ظل كل هذه المعاني ، أترأى حقاً تصلي ؟ ...

٢٤] كلمة « أخطأت » بين الحقيقة والزيف

كثيراً ما يقال كلمة (أخطأت) من قلب منسحق صادق، فتدل على التوبة، ويقال المغفرة من الله...

• مثال ذلك الإبن الضال، حينما قال لأبيه « أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً » (لو ١٥ : ١٨) فنال المغفرة، وذبح له العجل المسمن.

• ومن أمثلة ذلك أيضاً، قول داود في المزمور الخمسين « لك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت ». ونحن نكرر هذه العبارة في كل صلاة من صلوات اليوم السابع.

على أن هناك مناسبات أخرى، قيلت فيها عبارة أخطأت، ولم تدل على توبة، ولم يقبلها الله!...

• لقد كرر فرعون هذه العبارة بلون السياسة، أكثر من مرة، خوفاً، لكي يرفع الرب عنه العقوبة. وما أن ترتفع الضربة عنه، حتى يرجع إلى قسوة قلبه كما كان!!

في ضربة البرد، دعا فرعون موسى وهارون، وقال لهما « أخطأت هذه المرة. الرب هو البار، وأنا وشعبي الأشرار. صلوا إلى الرب، وكفى حدوث رعود الله والبرد، فأطلقكم » (خر ٩ : ٣٧)، ولما زفعت الضربة، رجع إلى قساوته.

وفي ضربة الجراد، قال لها «أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما. والآن اصفحا عن خطيتي هذه المرة فقط. وصليا إلى الرب إلهكما ليرفع عني هذا الموت...» (خر ١٠: ١٦).

كثيرون كفرعون يقولون (أخطأت)، ويرجعون كرجوعه.

* بلعام، الذي تحدث الكتاب عن ضلالتة، قال لملاك الرب: «أخطأت» (عد ٢٢: ٣٤). وعاد وخالف...

* وشاول الملك قال لصموئيل (أخطأت)، وكررها مرتين، لا عن توبة، وإنما لكي يكرمه النبي أمام الشعب (١ صم ١٥: ٢٤، ٣٠) ... وهلك شاول، ورفضه الرب.

* وعخان بن كرمي قال ليشوع «أخطأت إلى الرب...» (يش ٧: ٢٠) وهلك عخان، مثلما هلك بلعام من قبل، ومثلما هلك شاول الملك من بعد، على الرغم من عبارة (أخطأت).

* شمعي بن جيرا أيضاً قال لداود الملك عبارة «أخطأت» (٢ صم ١٩: ٢٠) ولعله قالها بنوع من الخوف أو من التملق، ولم تقبل منه، وهلك شمعي بن جيرا.

*** وماذا أقول؟ إن يهوذا الخائن نفسه قال (أخطأت).**

قالها في يأس لرؤساء الكهنة والشيوخ، بعد فوات الفرصة «أخطأت إذ أسلمت دمأ بريئاً» (مت ٢٧: ٤). ثم مضى وخنق نفسه، وهلك يهوذا بعد قوله (أخطأت).

[٢٥] صلاة في بدء العام الجديد

إجعله يارب عاماً مباركاً ...

عاماً نقياً نرضيك فيه ...

عاماً تحل فيه بروحك ...

وتشترك في العمل معنا ...

تمسك بأيدينا ، وتقود أفكارنا من أول العام إلى آخره ...

حتى يكون هذا العام لك وتستريح فيه ...

إنه عام جديد ، نقي ، لا تسمح أن نلوثه بشيء من الخطايا أو من

النجاسات ...

كل عمل نعمله في هذا العام ، اشترك يارب فيه ...

بل لنصمت نحن ، وتعمل أنت كل شيء ...

حتى نُسر بكل ما نعمله ونقول مع يوحنا البشير:

« كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان » ...

وليكن هذا العام يارب عاماً سعيداً ...

إطبع فيه بسمه على كل وجه ، وفرّج كل قلب ...

وادخل بنعمتك في التجارب ، واعط المجرمين معونة ...

وانعم على الكل بالسلام والراحة ...

إعط رزقاً للمعوزين ، وشفاء للمرضى ، وعزاء للحزاني ...

لسنا نسأل يارب من أجل أنفسنا فقط ...

إنما نسأل من أجل الكل ، لأنهم لك ...

خلقتهم ليتمتعوا بك ، فأسعدهم إذن بك ...

نسألك من أجل الكنيسة ومن أجل كرازتك ، ومن أجل كلمتك ،

لتصل إلى كل قلب ...

ونسألك من أجل بلادنا ، ومن أجل سلام العالم ، لكي يأتي ملكوتك

في كل موضع .

إجعله يارب عاماً مثمراً ، كله خير ...

كل يوم فيه له عمله ، ولكل ساعة عملها ...

ولا تسمح أن توجد فيه لحظة واحدة عقيمة ...

إنما إملأ حياتنا فيه نشاطاً وعملاً وإنتاجاً ...

اعطنا بركة التعب المنتج ، المقدس ...

واعطنا شركة الروح القدس في كل أعمالنا ...

نشكرك يارب لأنك أحييتنا حتى هذه اللحظة ، وأهديتنا هذا

العام ، لكي نباركك فيه ...



[٢٦] الإعتراف والتوبة

سر الإعتراف في الكنيسة ، هو سر التوبة . ومن غير توبة ، لا يكون الإعتراف إعترافاً ...

والتوبة هي إقتناع قلبي كامل ، بأنك قد أخطأت .
التوبة هي أن تدين نفسك وتحكم عليها ...
وما الإعتراف سوى إعلان لإدانتك لنفسك ...

ليس الأمر إذن مجرد كلمة (أخطأت) ، أو سرد الخطايا ، إنما الإعتراف الحقيقي يبدأ داخل القلب ، بثورة من الإنسان ضد نفسه ، واحتقار ذاتي لمسلكه .

والذي يدين نفسه يقبل أية عقوبة تحل عليه ، من الله أو من الناس ، ويشعر أنه يستحقها .

أما التذمر على العقوبة ، فهو دليل على عدم التوبة ...
والتوبة تشمل أيضاً معالجة نتائج الخطية بقدر الإمكان ... مع رد الظلم الذي يكون قد وقع على الآخرين ...

لذلك قال زكا العشار في توبته « وإن كنت قد وشيت بأحد ، أرد له خمسة أضعاف » ، فعلى الأقل بالنسبة إليك ترد نفس الشيء والتوبة بدون رد لا تكفي ...

والتوبة تحتاج إلى اتضاع قلب . والذي يصر على الإحتفاظ بكبر يائه
وكرامته ، لا يستطيع أن يتوب .

والذى يدافع باستمرار عن نفسه ، و يبزر تصرفاته وأقواله ، هو إنسان
غير تائب ، تمنعه الكبرياء من التوبة .

والأب الكاهن ، من المفروض أن يقول للمعترف (الله يحاللك)
حينما يرى أنه تائب . لأن التحليل لا يجوز أن يقال لغير التائبين .

وإن سمع الشخص عبارة (الله يحاللك) ، فإنما المقصود بها الخطايا
التي تاب عنها هذا الشخص ...

إن المعترف الموقن تماماً بأنه خاطيء ، وضميره ييكته بشدة على
خطيته ، هذا يمكنه أن يغير مسلكه و يتوب . أما الذى يبرر نفسه ، فما
أسهل أن يستمر فى خطاياها ، لأنه لا يشعر بثقلها ، ولا تتعبه من الداخل .

كيف يتوب إنسان عن شىء ، هو غير مقتنع بأنه خطأ !! الخطوة
الأولى إذن أن يقتنع الإنسان بخطيئته .

إذن فالإعتراف هو خطوة تالية ، وليس نقطة البدء . وشتان بين
اعتراف حقيقى ، وآخر عن غير اقتناع .



[٢٧] قوة الشخصية

ليست قوة الشخصية مظهرية خارجية ، إنما هي تنبع من أعماق الإنسان : من قلبه وعقله وإرادته .

قد يعتبر الإنسان قوياً بسبب قوة عقله ، ذكائه ، وقدرته على الفهم والإستنتاج والإدراك والإلمام بالمعلومات ، مع قوة الذاكرة وجمعها للمعلومات وترتيبها .

ولا شك أن الإنسان الذكى ، هو إنسان قوى ...

هو أقوى من الشخص الكثير المعلومات ، ومن الواسع الإطلاع . فإذا جمع هذه الصفات أيضاً تزداد قوى شخصيته .

كذلك من مصادر قوة الشخصية : قوة الإرادة والعزيمة .

ولذلك قيل إن من يغلب نفسه ، خير ممن يغلب مدينة . والشخص الذكى إن لم يكن قوى الإرادة ، قد يفشل فى الحياة ، لأنه يعرف ولا يقدر .

ولهذا كان من أسباب ضعف الشخصية : التردد والشك ، وعدم القدرة على ضبط النفس ، وكذلك ضعف العزيمة ، وعدم القدرة على البت فى الأمور وإصدار القرار .

والصوم والتدابير الروحية يسلك فيها الإنسان فتقوى إرادته ، فتقوى شخصيته .

والشخص الروحي شخص قوى ، لأنه منتصر من الداخل .
إنه قوى لأنه انتصر على الخطية وعلى الشيطان . انتصر على الجسد
وعلى المادة وعلى العالم . دخل في الحروب الروحية ، ولم تقدر عليه كل
أسلحة إبليس الملتبئة ...

ومن مصادر القوة أيضاً الحكمة وحسن التقدير .

ولهذا فإن المتصفين بالحكمة يصلحون للقيادة ، وللإرشاد ،

ويستطيعون جذب الآخرين إليهم بحسب تدبيرهم .

ومن صفات قوة الشخصية أيضاً الشجاعة ...

لذلك يعتبر قوى الشخصية الجريء الشجاع ، الذى لا

يخاف ، ولا يضطرب أمام القوى المضادة ، ويمكنه أن يبدى رأيه ، ويعبر
عن إيمانه ، ويدافع عن عقيدته .

وشتان بين الشجاعة والتهور ، فالتهور يخلو من الحكمة ...

لهذا تعتبر الشخصية قوية إن توافرت لها شروط كثيرة من مظاهر

القوة الحقيقية يسند بعضها بعضاً .

نقول هذا لكي نفرق ما بين القوة الحقيقية ، ومظاهر القوة الزائفة ،

التي تعتمد على السلطة ، أو القوة الجسدية ، أو العنف ، أو الكبرياء ، أو
البطش بالآخرين .



[٢٨] المسيحية ديانة قوة

إن ما تدعو إليه المسيحية من وداعة وتواضع ، لا يعنى مطلقاً أنها ديانة ضعف ، بل هي ديانة قوة .

فالكتاب يصف المؤمنين بأنهم « كسهام بيد جبار » (مز ١٢٠: ٤) ، ويقول عن الكنيسة إنها « جميلة كالقمر ، طاهرة كالشمس ، مرهبة كجيش بألوية [أى من عدة لواءات] » (نش ٦: ١٠) .

هذه القوة هي من عمل الروح القدس في المؤمنين .

لهذا قال لهم الرب « ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم .
وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١: ٨) .

ولهذا يقول الكتاب « وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » (أع ٤: ٢٣) ...
كان « ملكوت الله قد أتى بقوة » ...

إن قوة القوة في المسيحية تبدو في قول الرسول :

« أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني »

و يقول أيضاً عن القوة في الخدمة « أتعب أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذي يعمل فيّ بقوة » (كو ١: ٢٩) .

إنها قوة على الرغم من المقاومات ، فيقول الرب لبولس « لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لاني أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع: ١٨: ٩، ١٠) .

بل هي قوة على جميع الشياطين بسطان .

ف عندما أرسل السيد المسيح تلاميذه « أعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين » (لو ٩، ١) . ونحن نشكره في صلواتنا لأنه « أعطانا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو » ...

المسيحيون أقوياء ، لأنهم صورة الله ، والله قوى ...

والسيد المسيح على الرغم من وداعته واتضاعه كان قوياً . قيل عنه « تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار . إستله وانجح واملك » . كان قوياً « وكانت قوة تخرج منه » (لو ٦: ١٩) .

الله لبس القوة وتمنطق بها ، « صنع قوة بذراعه » . أظهر قوته بآيات وعجائب « يمين الرب صنعت قوة » ...

والقوة في المسيحية قوة لها طابع روحي ...

قوة في الإنتصار على الخطية والعالم والشيطان ، قوة في الإحتمال ، قوة في العمل وفي الخدمة ، قوة في الشخصية وتأثيرها وقيادتها للآخرين ، قوة في الدفاع عن الإيمان .

قوة بعيدة عن أخطاء العنف والإعتداء وقهر الآخرين .

[٢٩] السلوك المسيحي

يظن البعض أن الحياة مع الرب هي مجرد إيمان ، أوحب أو روح ،
ولا تهم الفضائل أو السلوك ...

بينما يهتم الكتاب بالسلوك المسيحي ، من جهة الدينونة ذاتها
فيقول : « إذن لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ،
السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » إذن سلوك الإنسان
بالروح هو الذى يحميه من الدينونة .

و يعتبر هذا السلوك الروحي دليلاً على الثبات في الرب . ويطلب
الرسول مستوى عالياً جداً فيقول :

« من قال أنه ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذلك (أى المسيح)
هكذا يسلك هو أيضاً » (١ يوحنا ٢ : ٦) .

نحن إذن مطالبون بالسلوك حسب الروح ، وبأن نضع أماننا في
سلوكنا مثال سلوك السيد المسيح أيضاً ...

وأهمية السلوك المسيحي ، قول الرب « من ثمارهم تعرفونهم » .
هذا السلوك له ناحيتان : إيجابية ، وسلبية . وكل منها لها خطورتها .
ولهذا يقول يوحنا الرسول « إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة
بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية »

(١ يوا: ٧). هذا من الناحية الإيجابية .

وماذا عن السلبية ؟ يقول الرسول « إن قلنا إن لنا شركة معه وسلطنا في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١ يوا: ٦).

إذن سلوكننا المسيحى ، هو دليل شركتنا مع الله . وهو أيضاً دليل على شركتنا مع الكنيسة ...

ولهذا كانت الكنيسة تفرز كل أخ يسلك بلا ترتيب ، كما ذكّر بولس الرسول أهل كورنثوس بالآية التى تقول « إ عزلوا الخبيث من وسطكم » .
ويقول القديس يوحنا :

« أوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب ، وليس حسب التعليم الذى أخذه منا »
(٢ تس ٣: ٦).

إن كان السلوك أمراً ليست له أهمية ، والمهم فقط هو الإيمان ، فلماذا إذن جعله الرسول قمة فرحه فقال :

« ليس لى فرح أعظم من هذا ، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق » (٣ يوا: ٤) .

إننا مؤمنون ، ولكن ينبغى أن نسلك كما يليق بالدعوة التى دعينا إليها (أف ٤: ١) . نصنع ثمراً ، لأن كل شجرة لا تصنع ثمراً تقطع وتلقى فى

النار...



[٣٠] أذكر يارب اجتماعاتنا باركها

ليست اجتماعاتنا هي التي نجتمع فيها مع بعضنا البعض ، إنما التي نجتمع فيها مع الله ، أوحينا نجتمع مع بعضنا البعض ، يكون الله في وسطنا حسب وعده الصادق :

« حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون في وسطهم »
(مت ١٨ : ٢٠) .

اجتمع الله مع آدم وحواء في الجنة ، فكانت أول كنيسة . واجتمع مع نوح وأسرته في الفلك ، وكان في وسطهم . وكذلك كان في وسط الثلاثة فتية في أتون النار . واجتمع الرب مع موسى فوق الجبل ، وكان اجتماعاً مباركاً ، أضاء فيه وجه موسى بالنور لأنه اقترب من النور الحقيقي .

وفي العهد الجديد ، كان الرب يجتمع مع تلاميذه ، في أي مكان : على الجبل ، في بيت حيث شفى المفلوج ، أو في البرية حيث بارك الخمس خبزات ، أو بين الحقول ، أو في جلسة خاصة على بئر يعقوب ، أو في بيت مريم ومرثا .

ومن أجل الصور التي قدمها لنا سفر الرؤيا :

الرب في وسط المنائر السبع ، في وسط كنيسته .

إنها صورة الله في وسط شعبه ، وفي يده اليمنى ملائكة الكنائس .

سبقها الرب باجتماعه مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة « يتحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ». ودعاهم إلى ذلك الإجتماع بقوله للمجدلية: إذهبي إلى إخواني ، وقولي لهم أن يمضوا إلى الجليل هناك يرونني « ...

إن مجرد رؤيته ، يمكن أن تكون هدوء ذاتها :
إذ قال لهم قبلاً « أراكم فتفرح قلوبكم . ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحكم » .

ونحن نجتمع مع الله في بيته ، لذلك نفرح بالذهاب إلى بيت الرب ،
كما فرح المرتل قائلاً :

« فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب » (مز ١٢١).

وكان الله يجتمع مع الناس في البيوت :

وكان أول البيوت التي صارت كنائس ، بيت مارمرقس
(أع ١٢: ١٢) ، وفي عليته حل الروح القدس ، وتعلم قديسنا مارمرقس
مثالية الإجتماعيات ، وعلمنا إياها .



[٣١] الصوم الروحي

الصوم الكبير من أقدم وأقدس أصوام السنة ، نتذكر فيه الصوم الأربعيني الذي صامه الرب ، ويضاف إليه أسبوع الآلام الذي هو ذخير السنة الواحدة .

وهي أن يمر علينا كفترة روحية . ولذلك علينا أن نتأمل معاً روحيات الصوم لتتدرب عليها .

ليس الصوم مجرد إمتناع عن الطعام ، فهذا الإمتناع هو مجرد وسيلة للسيطرة على الجسد لإعلاء الروح .

فهل أنت في الصوم تسيطر على جسدك تماماً ؟ وهل تهتم بالإيجابيات التي تنميك روحياً ؟

وكما تمنع جسدك عن الطعام ، هل تعطى روحك طعامها ؟ ...

ومن هنا كان الصوم يقترن دوماً بالصلاة ، وبالتأمل وبقايا تفاصيل العمل الروحي ، من قراءة وترتيل واجتماعات روحية ، وتداريب روحية ومحاسبة للنفس .

وكما يقترن الصوم بالصلاة ، يقترن أيضاً بالتوبة .

ومثال ذلك نينوى ، بكل ما فيها من تذلل . ومثاله أيضاً الصوم الذي شرحه سفر يوثيل النبي (١٧-١٢ : ٢) والله يُسر في الصوم بترك الخطية ،

كثيراً مما يُسرّ يا ذلال الجسد . وهكذا نقرأ عن صوم أهل نينوى إنه « لما رأى
له أعمالهم ، أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذي
كلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يون ٣ : ١٠) .

والصوم أيضاً مقرون بعمل الرحمة . نرحم الناس لكي يرحمنا
له . ونشعر بألم الناس حينما نجوع ، فنشفق على الجائعين ونطعمهم ...
وما أجل ما قيل في أقوال الآباء « إن لم يكن لك ما تعطيه لهؤلاء
تديسين فضمّ وقدم لهم طعامك » . وقد شُرح هذا الأمر في سفر أشعياء
(٥٨) .

والصوم فترة للزهد في المادة وكل ما يتعلق بها .
والزهد معناه عدم الإهتمام بالطعام وأصنافه وطهيه وتنسيقه ، مما
يج الصوم عن روحه ، ويتحول إلى شكليات ... ما أجل قول دانيال
بي في صومه « لم آكل طعاماً شهياً » (دا ١٠ : ٣) .
وهذا الزهد في الطعام ، من جهة الإنقطاع عنه ، والإمتناع عن
تتهياته ، إن هو إلا دلالة على الزهد عموماً والتدرب عليه ، لإنشغال
تلب بكل ما هو روحاني ونافع للحياة الأبدية ...



[٣٢] تدريبات في الصوم الكبير

لكى يكون هذا الصوم المقدس ذا أثر فعال في حياتك الروحية ، نضع أمامك بعض التدرّيب لممارستها ، حتى إذا ما حولتها إلى حياة ، تكون قد انتفعت في صومك :

١ - تدرّيب لترك خطية معينة من الخطايا التي تسيطر عليك ، والتي تتكرر في كثير من اعترافاتك .

٢ - التدرّيب على حفظ بعض المزامير من صلوات الأجيّة ، ويمكن إختيار مزمور أو اثنين من كل صلاة من الصلوات السبع ، وبخاصة من المزامير التي تترك في نفسك أثراً .

٣ - التدرّيب على حفظ أناجيل الساعات ، وقطعها ، وتحاليلها . علماً بأنه لكل صلاة ٣ أو ٦ قطع .

٤ - التدرّيب على الصلاة السرية بكل ما تحفظه ، سواء الصلاة أثناء العمل ، أو في الطريق ، أو أثناء الوجود مع الناس ، أو في أى وقت .

٥ - إتخاذ هذه الصلوات والمزامير والأناجيل مجالاً للتأمل حتى يمكنك أن تصل إليها بفهم وعمق .

٦ - تدرّيب القراءات الروحية : سواء قراءة الكتاب المقدس بطريقة منتظمة ، بكميات أوفر ، وبفهم وتأمّل ... أو قراءة سير القديسين ،

أو بعض الكتب الروحية ، بحيث تخرج من الصوم بحصيلة نافعة من القراءة العميقة .

٧ - يمكن في فترة الصوم الكبير ، أن تدرب نفسك على استلام الألمان الخاصة بالصوم أو بأسبوع الآلام ، مع حفظها ، وتكرارها ، والتشبع بروحها ...

٨ - يمكن أن تدرب نفسك على درجة معينة من الصوم ، على أن يكون ذلك تحت إشراف أبيك الروحي .

٩ - هناك تدريبات روحية كثيرة في مجال المعاملات ... مثل اللطف ، وطول الأناة ، واحتمال ضعفات الآخرين ، وعدم الغضب ، واستخدام كلمات المديح والتشجيع ، وخدمة الآخرين ومساعدتهم ، والطيبة والوداعة في معاملة الناس .

١٠ - تدريبات أخرى في (نقاوة القلب) :
مثل التواضع ، والسلام الداخلي ، ومحبة الله ، والرضى وعدم التذمر ، والهدوء وعدم القلق ، والفرح الداخلي بالروح ، والإيمان ، والرجاء ...



[٣٣] متاعب الذكاء

للذكاء فوائد كثيرة في حياة الإنسان وحياة غيره .
ولكن الذكاء يسبب أيضاً بعض المتاعب ، فكيف يحدث ذلك ؟
إذا طالب الشخص الذكي أو الذكي جداً ، أن يتعامل معه
الناس بنفس مستوى الذكاء ، وقد يكونون دون ذلك ، حينئذ
سيصطدم بهم ، يتعبهم ويتعبونه ...

لأنه سيطالبهم حينئذ بأكثر مما يستطيعون .
سيحزن في قلبه ، لأنهم تصرفوا بهذا الأسلوب .
وهذا أول عيب ، هو تضايق الذكي من تصرف الناس :
كيف أنهم لم يفهموا ! وكيف تصرفوا هكذا ؟ !
ولماذا يتسببون في هذه الأضرار ؟ ألا يدركون ؟
« مع أن الأمر واضح » ! (طبعاً له وليس لهم) !
وقد يتحول من الحزن والضيق إلى النرفة والغضب !
وربما تسوء المعاملة ، وكثرة التوبيخ والانتهاز ...

ولذلك قد يتعب كثيراً من يشتغلون تحت إمرة شخص ذكي ! فع
إعجابهم بفهمه وبكثير من أعماله ، يجذونه أحياناً ضيق الخلق ، كثير
الأوامر ، وقد يطلب منهم فوق ما يطيقون ! وقد يتضايق بلا سبب (في

ظهرهم طبعاً) ...

الذكي - أكثر من غيره - يقع في إداة الآخرين .

وربما دون أن يقصد ... إن عقله يفكر بسرعة ...

ويكتشف الأخطاء بسرعة ... وربما تلقائياً ...

وقد يشعر الذكي بالوحدة ... أو يميل إليها ...

لأنه ربما لا يستفيد كثيراً من الناس ... أو لأنه لا تعجبه تصرفاتهم ...

أو لا يجد من توافقه صداقته !

ومثل الفيلسوف ديوجينيس واضح : الذي رأوه يحمل مصباحاً في

النهار، فسألوه، فقال «إنني أبحث عن إنسان» !

وهكذا قد يقع الذكي في الكبرياء أيضاً ...

إما بدوام تفوقه ، أو بحديث الناس عن أعماله البارعة ، أو بمقارنته

بغيره « وشعوره هو بالأفضلية ، أو تحدث الناس عنها ... وعموماً فإن فضيلة

التواضع - بالنسبة إلى الأذكىاء - قد تحتاج إلى مجهود أكبر ...

وهنا قد يسأل البعض سؤالاً ذكياً وهو :

لماذا لا يكتشف الذكي بذكائه هذه الأخطاء ويتجنبها ؟

والإجابة أنه قد يكتشف أخطائه . أما عن تجنبها ، فهنا الفارق بين

العقلية والنفسية ، وبين العقل والروح .



[٣٤] ما معنى الزواج ؟

معناه في المفهوم المسيحي أن إنساناً روحياً ، هيكل للروح القدس ، يقترون بإنسانة روحية ، هي الأخرى هيكل للروح القدس ، يربطهما الروح في سر الزواج ، لكي يصيرا واحداً ...

لهذا ينبغي أن يكون الإثنان من نفس الإيمان ، الإيمان السليم ، لأن الروح القدس لا يجوز أن يربط متناقضات إيمانية .

بهذا الشكل ينجح الزواج . ويعمل الروح القدس في كليهما عملاً روحياً ، متناسقاً ...

أما أن نربط اثنين غير ثابتين ، بعيدين عن الروح القدس وعمله ، فليس هذا عملاً روحياً .

لهذا فإن الكنيسة تتقبل إقرار الخطييين ، وتناولها من الأسرار المقدسة قبل زواجهما ، حتى يبدأ الإثنان حياة روحية سليمة ، معاً ، متعاونين ...

بهذا لا يكون الزواج مجالاً للخلافات الزوجية ، التي تحدث غالباً من عدم حياة الزوجين حياة روحية سليمة ...

إننا نحاول أن نضع القوانين للأحوال الشخصية ، وقد يرى البعض الإتساع في أسباب الطلاق ، إذا بدت الحياة مستحيلة بين الزوجين ! ...

ولماذا مستحيلة؟! لأنها لا يعيشان بالروح ، كما يفهم من الزواج
المسيحي ...

هذا البعض يريد زواجاً غير مسيحي (غير روحي) تحكمه شريعة
المسيح التي تمنع الطلاق إلا لعدة ...

ولو عاش الزوجان مسيحيين ، في حياة روحية ، لأمكن إلغاء بند
الطلاق نهائياً من قانون الأحوال الشخصية ، إذ لا حاجة إليه ، لأن المحبة
الكبرى التي تربط الزوجين ، لا يمكن أن تسمح مطلقاً بالطلاق ، بل على
العكس ، بدلاً من الانفصال تتعمق العلاقة بالأكثر يوماً بعد يوم ...

إن أجل تشبيه للزواج المسيحي ، والعلاقة بين الزوجين هو العلاقة
بين المسيح والكنيسة . وعن هذا الأمر قال الرسول « هذا السر عظيم »
(أف : ٥ : ٣٢) .

أوجد تشبيه أعمق من هذا ؟ أوجب أعظم من هذا ؟ « فليحب كل
واحد امرأته هكذا كنفسه » (أف : ٥ : ٣٣) .

ليس الزواج المسيحي علاقة عابرة وتنتهي ! إنها علاقة العمر كله .
المرأة بالنسبة إلى الرجل « لحم من لحمه ، وعظم من عظامه »
(تك : ٢ : ٢٣) ، هي جسده ، وهو رأسها ، وكلاهما جسد واحد . ومن
أجلها يترك أباه وأمه ! ... ما أعجب هذه الأهمية .



[٣٥] الخوف

هناك خوف صبياني ، كالخوف من الظلام ، ومن الوحدة . وهذا الخوف قد يستمر مع الإنسان في كبره ، ويخاف الإنسان من غير سبب . إنه ضعف في النفس .

نوع آخر من الخوف ، سببه الخطيئة ...

آدم بدأ يعرف الخوف بعد الخطيئة (تك ٣ : ١٠) . وكل إنسان يخطيء ، قد يخاف أن تنكشف الخطيئة ، ويخاف من سوء السمعة ، أو يخاف العقوبة ، أو من النتائج السيئة التي يتوقعها لخطيئته ...

هناك خوف آخر ، سببه عدم الثقة بالنفس :

الخوف من الفشل ، أو من الرسوب ، أو من المستقبل الغامض ، أو خوف من مقابلة كبير أو رئيس ، أو من مواجهة موقف معين .

هذا الخوف أيضاً ناتج عن عدم إيمان .

عدم إيمان برعاية الله وحفظه . أما القديسون فما كانوا يخافون ، وذلك لشعورهم بوجود الله معهم ، وحمايته لهم .

« إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي »

(مز ٢٢) ، « الرب نورى وخلصى ممن أخاف » (مز ٢٦) .

هناك خوف آخر سببه عُقد نفسية من الصغر:

كإبن كان أبوه يقسو عليه ، فغرس فيه الخوف ، بمعاقبته ، بانتهازه له ، وتوبيخه ، وإشعاره بالخطأ في كل تصرف ، فأصبح لا يثق بأى عمل يعمله ، ويخاف ...

يضاف إلى كل هذا ، مخافة الله ...

« بدء الحكمة مخافة الله » . على أن الإنسان يتطور إلى أن يصل إلى محبة الله « والمحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج » (١ يوحنا : ٤ : ١٨) . على أن المقصود بخوف الله ، ليس الرعب ، إنما المهابة والخشية ، إنه خوف مقدس ...

قال السيد المسيح « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد . ولكن النفس لا يقدر أن يقتلها . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » (مت ١٠ : ٢٨) .

ومخافة الله تقود الإنسان إلى حفظ الوصايا ...

قال القديس أوغسطينوس « جلست على قبة هذا العالم ، حينما أحسست فى نفسى ، أنى لا أشهى شيئاً ولا أخاف شيئاً » ...



« ٣٦ » الصليب في حياتنا « ب »

المسيحية بدون صليب ، لا تكون مسيحية ...
وقد قال الرب « من أراد أن يتبعني ، فلينكر ذاته ، ويحمل صليبه ،
و يتبعني » (مت ١٦ : ٢٤).

بل قال أكثر من هذا « من لا يأخذ صليبه ويتبعني ، فلا يستحقني .
من وجد حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجل يمجدها »
(مت ١٠ : ٣٨ ، ٣٩).

والصليب قد يكون من الداخل ، أو من الخارج ...
من الداخل كما يقول الرسول « مع المسيح صُلبت . فأحيا لا أنا بل
المسيح يحيا فيّ » (غل ٢ : ٢٠).

إنكار الذات إذن (لا أنا) ، هو صليب ...

وقليلون هم الذين ينجحون في حمل هذا الصليب ...

أما الصليب الخارجي ، فهو كل ضيقة يتحملها المؤمن من أجل
الرب ، سواء بإرادته ، أو على الرغم منه .

وعن هذا قال السيد الرب « في العالم سيكون لكم ضيق » (يو ١٦ :
٣٣) ، وقيل أيضاً « كثيرة هي أحزان الصديقين » (مز ٣٤) ، وقيل
كذلك « بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله » (أع ١٤ : ٢٢)

ولكن هذا الصليب - في كل أحزانه وضيقاته - هو موضع

إفتخارنا ، وأيضاً موضع فرحنا .

وفي هذا يقول الرسول « حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح ، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم » (غل ٦: ١٤) ، كما يقول أيضاً « لذلك أُسْر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات ، لأجل المسيح ، لأنني حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى » (٢ كو ١٢: ١٠) .

كما ينصحنا معلمنا يعقوب الرسول قائلاً « احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة . عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً » (يع ٢١، ٣) .

من محبة الكنيسة للصليب ، جعلته شعاراً لها ...

وكانت الكنيسة تُعلم أولادها محبة الألم من أجل الرب ، وتغرس في فكرهم قول الكتاب « إن تألمتم من أجل البر فطوبياكم » (١ بط ٣: ١٤) .

بل إن الألم اعتبرته المسيحية هبة من الله ...

وفي ذلك قال الكتاب « ... لأنه وُهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أن تتألموا لأجله » (في ١: ٢٩) .

وفي الألم ، وفي حمل الصليب ، لا يترك الله أولاده ...

فإن قال المزمور « كثيرة هي أحزان الصديقين » إنما يقول بعدها « ومن جميعها ينجيهم الرب » ، كما يقول أيضاً « الرب لا يترك عصاة الخطاة تستقر على نصيب الصديقين » (مز ١٢٥: ٣) .

[٣٧] متى تتكلم ؟

إن كنت تتكلم لمجرد الكلام ، فهذا شيء .
وإن أردت أن تصل بكلامك إلى نتيجة ، فهذا شيء آخر ، يجعل
كلامك هادفاً وفعالاً ...

وفي هذا الوضع الأخير تلزمك نصائح نافعة :

*** تكلم حين تكون الأذن مستعدة لأن تسمعك :**

فإن وجدت من تكلمه غير مستعد لسماعك ، أسكت .
فلا تكلم شخصاً يكون مرهقاً أو متعباً نفسياً أو جسدياً ، أو تحيط به
ظروف ضاغطة ...

ولا تكلمه إن كان مشغولاً ، وليس لديه وقت لسماعك ، أو ليس
لديه وقت يتفهم فيه رأيك و يناقشه معك ... وكما قال الحكيم :

« تفاح من ذهب ، في مصوغ من فضة ، كلمة مقولة في محلها »
(أم ٢٥ : ١١) .

تخير لمحدثك أفضل أوقاته ، وأليق حالاته ، وأحسن المناسبات ، لكي
تعرض عليه رأيك ويكون مستعداً قلبياً وذهنياً ، لسماعك وفهمك ، وقبول
كلامك ...

وإن كنت تريد أن تصل إلى نتيجة من كلامك :

✽ إكسب محدثك ، تكسب الحديث كله ونتائجها :

كثيرون يهدفون إلى كسب المناقشة بأية الطرق ، ولو بخسارة من يحدثونه ! ... فتكون النتيجة إنهم يخسرون كل شيء . فالمنطق وحده لا يكفي ، بدون النفسية ...

١ - إن من يحطم مناقشه ، ويثبت له أنه مخطيء ، وبخاصة أمام الناس ، لا يمكن أن يكسب منه خيراً ...

٢ - ومن يقاطع محدثه ، ولا يعطيه فكرة للكلام ، ويرد على كلامه قبل أن يكمله ، ويشعره بأنه خصم ، هذا لا يمكن أن يجد في قلب محدثه قابلية للإستجابة ، أو للإقتناع ، مهما كان رأيه منطقياً .

٣ - ومن يتهم على أفكار محدثه ، ويشرح له كيف أنها ضعيفة وتافهة ، أو غير عملية ، أو غير منطقية ، هذا أيضاً لن يصل إلى نتيجة ...

لذلك احترم رأى من تكلمه ، مهما كنت ضده ...

وبكل أدب ، وبكل لياقة ، يمكنك أن ترد عليه ...

حاول أن تصل إلى قلب من تكلمه ، قبل أن تصل إلى عقله .
وثق أنك إن كسبت القلب ، تكسب العقل أيضاً .



[٣٨] السلام القلبي

السلام القلبي هو ثمرة من ثمار الروح القدس في القلب .
الروح القدس إذا سكن قلب إنسان يعطيه سلاماً قلبياً « يفوق كل عقل » كما يقول الرسول .

وكان السلام هو عطية السيد المسيح للناس ، فقال :
« سلامي أترك لكم ، سلامي أنا أعطيتكم »

الشخص المملوء بالسلام لا يقلق ، ولا يضطرب ، ولا ينزعج مهما كانت الأمور ضاغطة من الخارج .

إن سلامه لا يعتمد على الظروف الخارجية ، وإنما يعتمد على ثقته بحفظ الله ورعايته وثقته بوعود الله .

مادام الله موجوداً ، ومادام يعمل ويحفظ ، إذن لا داعي للخوف .
لهذا قال داود النبي « إن سرُّ في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً ،
لأنك أنت معي . عصاك وعكازك هما يعزيانني » (مز ٢٢) .

إن مصدر سلامه هو شعوره أن الله معه .

تعب التلاميذ ، حينما كانوا في السفينة ، وظنوا أن الرب نائم ، بينما البحر هائج . لهذا فقدوا سلامهم . كان العامل المسيطر هو الظروف الخارجية ، والإحساس بعدم عمل الرب ، فقام وانتهر الريح ، وأعاد إليهم سلامهم .

كونوا ثابتين من الداخل ، راسخين في إيمانكم ، حينئذ لا تهزكم الظروف الخارجية . مثل البيت المبني على الصخر، تعصف به الرياح والأمطار، فلا تقدر عليه ، لأنه ثابت من الداخل .

السفينة السليمة تحيط بها الأمواج الشديدة وتلطمها فلا تؤذيها ، ولكن متى تتعب السفينة ؟ تتعب حينما يوجد بها ثقب يوصل الماء إلى داخلها ... فهل يوجد ثقب داخل نفسك يجعل المياه تتسرب إلى نفسك فتغرقها ... القديس الأنبا أنطونيوس كان مثلاً للسلام القلبي . قال عنه القديس أثناسيوس الرسولي « من من الناس كان مُر النفس ومضطرب الخاطر، ويرى وجه الأنبا أنطونيوس إلا ويمتلىء قلبه بالسلام .

إن الإنسان المملوء بالسلام ، يستطيع أن يفيض بالسلام على الآخرين ، ويريح غيره ...

عيشوا إذن في سلام ، حينئذ تستريحون ، وتعيشون في طمأنينة وهدوء ، في صحة روحية وجسدية ...



[٣٩] إحمل صليبك ...

كن مصلوباً لا صالِباً

إن كنت مصلوباً ، فاضمن أن الله سيكون معك ، ويرد لك حَقَّك كاملاً ، إن لم يكن هنا ، ففي السماء .

أما إن كنت صالِباً لغيرك ، فثق أن الله سيقف ضدك ، حتى يأخذ حق غيرك منك ، ويعاقبك .

إن كنت صالِباً لغيرك ، إعرف أن فيك عنصر الشر والإعتداء والعنف . وكلها نواحٍ من الظلم لا تتفق مع البر الواجب عليك ، ولا حتى مع المثالية الإنسانية التي يتطلبها العلمانيون ...

أما إن كنت مصلوباً ، وبخاصة من أجل الحق ، أو من أجل الإيمان ، فاعرف أن كل ألم تقاسيه هو محسوب عند الله ، له إكليله في السماء ، وبركته على الأرض ...

وثق أن السماء كلها معك : الله والملائكة والقديسون ...

إن كل الذين تبعوا الحق ، تحمّلوا من أجله .

وكل الذين تمسكوا بالإيمان ، دفعوا ثمن إيمانهم ...

وتاريخ الشهداء حافل بقصص الذين سفكوا دماءهم من أجل

الإيمان ... وتاريخنا بالذات كله من هذا النوع ...

إن العنف يستطيعه أى أحد ، ولكنه لا يدل على مثالية . والظلم ، بإمكان أى أحد ، ولكن لا يوجد دين يوافق عليه ...

لذلك احتفظ بمثالياتك وخلقك ، واحمل صليبك . والباطل الذى بك ، لن يدوم إلى الأبد ...

إن السيد المسيح الذى ذاق مرارة الألم واحتمل الصلب ، قادر أن المتألمين والمصلوبين فى كل زمان ، وفى كل موضع ...

لذلك ضع أمامك صورة المسيح المصلوب ، تجد تعزية ...
وثق أنه بعد الجلجثة ، توجد أمجاد القيامة ...

إن دم نابوت اليزرعيلى ، رآه الله وهو يُسفك ولم يصمت الرب ، وكان نوباً ...

لذلك « إنتظر الرب . تقووليتشدد قلبك ، وانتظر الرب » كما يقول فى المزمور ...

إن كنت مصلوباً ، سيكون المسيح إلى جانبك ... سيرى فىك صورته
ن إذن صورة المسيح ...



[٤٠] روحياتك في الخماسين

حقاً إن أيام الخماسين أيام فرح ، وليس فيها صوم ، ولا مطانيات ،
حتى في يومى الأربعاء والجمعة ...

ولكن في الفرحة أيضاً ، يمكن أن نكون روحيين ...

والا كيف سنكون روحيين في الفردوس ، وفي ملكوت السموات
حيث النعيم الدائم؟! ...

ما تفقده من الصوم والمطانيات ، يمكن أن تعوضه بمزيد من الصلاة ،
ومزيد من القراءات الروحية ، ومن التأمل ، ومن الألحان والتراتيل ،
عملاً بقول الكتاب «أمسرور أحد بينكم فليرتل» ...

ويمكن أن تتغذى بالتأمل في محبة الله ، التي صنعت كل هذا الخلاص
... محبة الرب الذي شاء أن يقضى مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة ،
يلتقى بهم ، ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله « (أع ١: ٣) .

تدرب في هذه الفترة على الحديث مع الرب ، والتواجد في حضرة
الله ، بالمزامير ، والصلوات الخاصة ، وصلوات الشكر على خلاص الله
العجيب ... مع البعد عن أى شيء يعوق وجودك في الحضرة الإلهية ...
عش في حياة الفرحة بالرب . ولكن لا تجعل فرحاً جسدياً
بالتسيب الزائد في الأكل .

فالإفطار ليس معناه التماذى في شهوة الطعام .

إستخدم ضبط النفس أيضاً في حالة عدم الصيام ...

[٤١] ما معنى الغيرة؟

الغيرة هي اشتعال القلب والإرادة ، كما بنار ، لعمل ما يعتقد الإنسان أنه الخير ... وقد يتحمس الإنسان وتملكه الغيرة بسبب شيء خاطيء ، كما قال بولس الرسول عن ماضيه « من جهة الغيرة ، مضطهد للكنيسة » (في ٣ : ٦) .

بينما نجد غيرة مقدسة ، كالتى قال عنها المرتل « غيرة بيتك أكلتنى » (مز ٦٩ : ٩) . نجد غيرة أخرى خاطئة (غل ٥ : ٢٠) ، وغيرة « قاسية كالهواية » (نش ٨ : ٦) . ولهذا قال الرسول :
« جيدة هي الغيرة في الحسنى » (غل ٤ : ١٨) .

ذلك لأنه توجد غيرة غير سليمة ، كالتى قال عنها الرسول لأهل رومية « أشهد أن لهم غيرة الله ، ولكن ليس حسب المعرفة » (رو ١٠ : ٢) .

ما هي إذن هذه الغيرة التى ليس حسب المعرفة ؟

« قد يغار الإنسان بجهل ، متحمساً لمحاربة شيء ، دون معرفة ، دون تحقيق ، دون تدقيق ، لمجرد السماع ، كما قال المسيح « تأتى ساعة ... يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » ! إنها غيرة ليست حسب المعرفة ، كغيرة شاول الطرسوسى التى قال عنها « ولكنى رُحمت ، لأننى فعلت ذلك بجهل » ...

لذلك لا تتحمس بسرعة ، بل اخلط حماسك بالمعرفة ...
ولا تصدق كل ما يقوله لك أى أحد ، عن أخطاء الآخرين ، وعن
مطالب الإصلاح ... إنما تعقل ، وادرس ، وافحصوا كل الأشياء ،
وتمسكوا بالحسنى ...

✽ وقد تكون الغيرة مخبطة في وسائلها وطرق التعبير ...

مثل بطرس الذى غار للرب ، ورفع سيفه ، وقطع أذن العبد . ومثل
يوحنا ويعقوب اللذين قالوا للرب عن إحدى مدن السامرة التى رفضت
الرب « هل تشاء يارب أن تنزل نار من السماء وتحرق هذه المدينة ؟ » ...
وانسان قد تملكه الغيرة ، فيقع في الشتيمة والتشهير ، أو الإيذاء
والضرب ، أو الثورة والتخريب ، ويتحول إلى آلة هدم ، يحطم كل ما
يقابله بطريقة غير روحية .

إنها أيضاً غيرة ليست حسب المعرفة ، لأنه لا يعرف الطريقة الروحية
السليمة التى يعبر بها عن غيرته .

هناك أربعون شخصاً من اليهود ، نذروا أنهم لا يأكلون ولا يشربون
شيئاً ، حتى يقتلوا بولس ...

✽ وهناك غيرة خاطئة ، لأنها مخلوطة بالأنانية ، والتحزب ...

مثل غيرة يشوع لأجل موسى النبي ، لما رأى اثنين يتبثان ... « هل
تغار لى ؟ يا ليت كل شعب الله كانوا أنبياء » (عد ١١ : ٢٩) .



[٤٢] العنف

العنف لا يجبه أحد من الناس .

بل يكرهونه ، وينفرون منه ، ومن العنفاء .

وفي نفس الوقت يحبون الوداعة والطيبة والرقّة .

والعنف إذا وصل إلى غرض ، يكون وصوله مؤقتاً .

إن ابتعد العنف ، زال كل ما وصل إليه .

لذلك ، فكثير من العنفاء ، يستمرون هكذا طول العمر . يخافون أن

تفشل أمورهم إن تركوا عنفهم ، ويخافون انتقام الغير وغضبهم في نفس

الوقت ...

وقد كان العنف سلاح الطغاة في كل جيل ، وأيضاً سلاح

الإرهابيين والمتمردين والقساة ...

هؤلاء يتعاملون مع إرادة الناس ، وليس مع قلوبهم ...

يرغمون الغير على عمل شيء ، بالسيطرة على إرادتهم ... وقد تكون

قلوبهم غير راضية ، وعقولهم غير مقتنعة . لذلك إن تم (إصلاح) ، إنما

يكون من الخارج ، والإصلاح الحقيقي إنما ينبع من داخل القلب ...

وهذا نقوله في الأخلاقيات أيضاً ...

إن العنف لا يبني خلقاً ، بل مظهرية خلفية .

قد يولد العنف خضوعاً لنظام ، أو احتراماً لقانون ، ولكنه لا يؤسس قلباً نقياً يحب الخير...

وهكذا بالطاعة للعنف ، قد يتحول المطيع إلى إنسانين :
إنسان خارجي ، له مظهر التقوى ، وإنسان داخلي محب للخفية ، وقد يتحول إلى الصورة التي سجلها المسيح « قبور مبيضة من الخارج ، وفي الداخل عظام نتنة » .

إن الله نفسه يقول « يا إبنى إعطني قلبك » .

يريد القلب ، وليس المظاهر الخارجية .

وهذا يكون مقياس الخير الذي يقدمه الإنسان ، هو مدى محبة الإنسان لهذا الخير واقتناعه به .

وإذا أحب الإنسان الخير ، يعمله دون ضغط عليه من عنف خارجي ، دون خوف ، ودون سعى إلى ثواب أو مديح أو أجر من أي نوع ...

وقد جاء المسيح يدعو إلى الخير ، بغير عنف .
لا يرغم الناس على عمل الخير ، بل يجيهم فيه ، ويسكنه داخل قلوبهم وعواطفهم ، دون أن يضطروهم إليه اضطراراً . إنه لا يريد عبداً يسرون بالخوف ...

ما أتفه الخير ، الذي يتم عن طريق العنف .



[٤٣] الطريق الروحي

حياة التوبة هي بداية الطريق الروحي ، لأنها انتقال من مقاومة لله ومعاداته إلى السير في طريقه .

ولكن الطريق طويل ، يهدف فيه الإنسان إلى أن يحيا حياة القداسة ، التي « بدونها لا يعاين أحد الرب » . وقد قال الرب « كونوا قديسين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو قدوس » .

والقداسة درجات ، ينمو فيها الإنسان واضعاً أمامه مثال الرب نفسه لكي يقترب إلى صورته ومثاله ...

وهكذا يتطور المؤمن من مجرد حياة القداسة ، ساعياً نحو الكمال ، الذى يطالبه الرب به .

فقد أمرنا الرب بهذا الكمال ، فى قوله « كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » .

إن بولس الرسول ، الذى صعد إلى السماء الثالثة ، ورأى أشياء لا ينطق بها ، الذى منحه الرب مواهب كثيرة واستعلانات ، واختاره ليحمل إسمه بين الأمم ، فتعب أكثر من جميع الرسل ... بولس هذا يقول عن كل القمم الروحية التى وصل إليها « ليس إني قد أدركت ، أو صرت كاملاً ، ولكنى أسعى لعلى أدرك ... أفعل شيئاً واحداً ، إذ أنا أنسى ما هو

وراء ، وأمتد إلى ما هو قدام ، أسعى نحو الغرض ... » ويختم نصيحته بقوله
« فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » (في ١٢-١٥) .

ما هو هذا (القدام) الذي يسعى إليه بولس ؟

إنه يقول لأهل أفسس « حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين
ما هو الغرض والطول والعمق ، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة ، لكي
تمثلثوا إلى كل ملء الله » (أف ٣ : ١٩) .

ما أعجب عبارة « تمثلثوا إلى كل ملء الله » ...

الكمال في الطريق الروحي ، ليس له حدود ...

كلما تجتاز مرحلة منه ، تشعر أن أمامك مراحل أخرى طويلة ... كأنك
لم تتقدم شيئاً ، فتزداد انسحاقاً .

تكون كمن يطارد الأفق . كلما تصل إلى المكان الذي تظن فيه
السماء منطبقة على الأرض ، تجد هذا المكان قد امتد أمامك ... إلى غير
حدود .

مادام الأمر هكذا ، فلنتقدم إذن إلى أمام ...

فإن كنا لم نصل بعد إلى التوبة ، أى إلى بداية الطريق ! ... فهل
نقول إننا خارج طريق الله ؟!



[٤٤] الوسائل

غالباً ما تكون مشكلة الناس هي الوسائل لا الأهداف .
كل إنسان يهدف بلا شك إلى سعادة نفسه ، وغالباً ما يهدف أيضاً
إلى سعادة غيره . ولكن مشكلته الأولى . هي الوسائل التي يستخدمها
للوصول إلى أهدافه .

البعض يلجأ إلى وسائل غير روحية ...
والبعض يلجأ إلى ذراع بشرى يعتمد عليه ...
والبعض يلجأ إلى أسهل الوسائل وأقربها ، وليس إلى أنجح الوسائل
وأضمنها وأنقاها ...

والبعض يلجأ إلى نصيحة المقربين إليه ، دون أن يفحص هذه
النصائح أو يناقشها ... أو هو يلجأ إلى الطرق المعتادة بين الناس ، دون
فحصها أيضاً ...

وكثيراً ما تؤدي الوسائل ، إلى عكس ما يطلب ...
ومع ذلك ، فقد يستمر فيها الشخص ، دون أن يتعظ !
يستمر ، إما بدافع العناد ، أو قلة الحيلة ، أو مجرد الثقة في غيره ، أو
اعتماداً على الزمن أو الوقت لعله يأتي بنتيجة ...

والعاقل الحكيم ، هو الذى يختار الطريق والطريقة ...
يختار الطريق الصحيح القادر أن يوصله .
ويختار الطريقة السليمة التى لا خطأ فيها .
ويختار النصيحة الحكيمة ، غير معتمد على رأى واحد .

فالله خلق للإنسان أذنين : بإحدهما يسمع الرأى الأول ، وبالأخرى
يسمع الرأى المضاد . والعقل فى وسطهما ، يزن كلا الرأين ويختار
الأفضل ...

والإنسان الحكيم ، يغير وسائله ، إذا ما ثبت له أنها خاطئة ، أو
أنها لا توصله إلى خير...

أما الذى يستمر سائراً فى طريق يبدو أمامه مسدوداً ، أو يرى أنه كثير
الحفر والمطبات ، وكثير الأخطاء والأخطار ، فلا شك أن هناك عيباً فى
قلبه أو فى طريقة تفكيره ...

فكثيراً ما يمتنع الإنسان من تصحيح مسيرته بدافع الكبرياء ...
حرصاً على كرامته أو على سمعته ، من أن يقول الناس عنه إنه غير
طريقه ، كأنه يعترف بخطأ ذلك الطريق ! ... ولكن ما أكثر القديسين
الذين غيروا طريقهم ، دون أن تعوقهم مشاعر من كبرياء .

وكثيرون لم يغيروا طريقهم ، فتدخل الله لتغييره ...
مثل لوط ، وشاول الطرسوسى ، ويونان النبى ، وموسى ، وآخرون .



[٤٥] تواضع الله في تمجيدهِ لأولاده

الله لم يشأ أن يكون موجوداً وحده ، فأنعم بالوجود على كائنات أخرى صارت موجودة بمشيئته « ومن تواضع الله أنه حينما خلق الإنسان ، خلقه في مجد » ... على صورة الله وشبهه ومثاله .

فكانت صورة الله أول مجد للإنسان ...
وكانت البنية لله مجداً آخر أعطاه للإنسان ...

ويقول الكتاب : « الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ، ليكونوا مشابهيّن لصورة إبنه ... والذين سبق فعينهم ، فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم أيضاً ، فهؤلاء مجدهم أيضاً » (روا: ٢٩: ٣٠) .

« الخليفة نفسها ستعتق من عبودية الفساد ، إلى حرية مجد أولاد الله » (روا: ٢١) .

ونقرأ في الكتاب عن إكليل المجد ، وعن المجد العتيد أن يستعلن فينا (روا: ١٨) . وأتينا إن كنا نتألم مع الرب ، فسنتمجد معه (روا: ١٧) .

إنها أمجاد كثيرة تنتظر الإنسان في الأبدية ، غير الأمجاد التي يمنحها الله له في العالم ...

ويقول في المزمور (٩١ : ١٤ ، ١٥) « لأنه تعلق بى أنجيه . أرفعه لأنه عرف إسمى . يدعونى فأستجيب له . معه أنا فى الضيق ، أنقذه وأمجده » .

إن الله يفرح حينما يمنح المجد لأولاده ...

ولكن المجد الذى للناس شىء ، والمجد الخاص بالله وحده شىء آخر... ذلك هو مجد لاهوته .

مجد لاهوته لا يعطيه لآخر . إنه مجد الله فى الأعلى . إنه المجد غير المحدود وغير المدرك ، الذى نقول له عنه « لك المجد والعز والسجود » .

مهما نال الإنسان من مجد ، فلن يؤثر هذا على مجد الله . فالنارقذ تضىء منها مليون شمعة دون أن تنقص منها شيئاً ...

مبارك الرب الذى مجد أولاده بأنواع وطرق شتى : منها مواهب الروح القدس ، واجتراح المعجزات ، وما أعطاهم من سلطان على الشياطين وكل قوات العدو، وجعلهم هيكلًا لروح القدس ، ومنحهم التبنى والمجد (روم ٩ : ٤) .



[٤٦] الحكمة

كل فضيلة تخلو من الحكمة ، ليست فضيلة .
فالحجة مثلاً يجب أن تكون محبة حكيمة ، والا تنحرف إلى التدليل ،
أو العطف الضار ...

والحديث أيضاً والوعظ ، يجب أن تندمج فيه الحكمة ، فتعرف ماذا
تقول ، ومتى تقوله ، وكيف ...

والحكمة كانت صفة يجب توافرها في جميع الخدام ، وليس فقط في
الكبار كالأساقفة ، بل حتى في الشمامسة ، إذ قال الآباء الرسل
« إختاروا أنتم أيها الأخوة سبعة رجال منكم مملوئين من الروح القدس
والحكمة ، فنقيمهم نحن على هذه الحاجة » (أع ٦ : ٣) .

الحكمة تمنح صاحبها بصيرة روحية ، واستنارة في الفهم ، تؤدي إلى
الإفراز والتمييز .

وقد سُئل القديس الأنبا أنطونيوس عن أعظم الفضائل فقال هي
الإفراز ... لأن الفضائل بدون الإفراز قد تهلك أصحابها ...

وهناك حكمة نازلة من فوق (يع ٣) ، كإحدى مواهب الروح
القدس (١ كو ١٢) . والذي تعوزه حكمة فليطلبها من عند أبي الأنوار .

وليطلبها عند الآباء والشيخوخ والمرشدين الروحانيين الذين وهبهم الله الحكمة والفهم ...

وقد يحصل الإنسان على الحكمة نتيجة الخبرة ، والإستفادة من أخطائه ومن أخطاء غيره . وقد يحصل على هذه الحكمة نتيجة المداومة على القراءة النافعة ، أو نتيجة معايشة الحكماء والتلمذة على أساليبهم الحكيمة في الكلام والتصرف .

إن سليمان ، لم يطلب من الله غنى أو سلطة ، وإنما طلب منه حكمة لتدبير الشعب . فطوّبه الله ومنحه الحكمة . وما أجل ما قاله سليمان : « الحكيم عيناه في رأسه ، أما الجاهل فيسلك في الظلام » .

والحكمة تستلزم التروى والتفكير ، والنظر إلى الأمر من جميع زواياه ، واستعراض كل نتائجه قبل فعله . وعدم التصرف في حالة إنفعال أو غضب ، أو مجرد السماع .

والحكمة تحتاج إلى ذكاء ، واتساع في الفكر ...
ولا تتفق مع العناد والغرور والتشبث بالرأى ...



[٤٧] أبديتك

غالبية الناس يفكرون فقط في حياتهم على الأرض ، كل رغباتهم
مركزة في هذه الحياة الأرضية . وكل تعبهم وجهادهم هو من أجلها .
أما أبديتهم ، فربما لا تخطر لهم على بال ...

إن حياتك كلها على الأرض ، لا تساوى طرفة عين إذا ما
قورنت بالأبدية التي لا نهاية لها ...
وحياتك على الأرض ما هي إلا إعداد أو تمهيد لتلك الأبدية ،
حياة الخلود ...

ربما تمسك بكرامة أرضية ، يُضَيِّع عليك كل الكرامة التي يناها
القديسون في المجد الأبدى ...

ومع ذلك فأنت ما تزال تتمسك بهذه الكرامة الأرضية . وتضحى في
سبيلها بأبديتك . وكأنك لا تعي !!

وربما تمسكك ببعض الملاذ الأرضية الوقتية أو الزائلة ، يفقدك كل
النعم الأبدى وسعادة الخلود ...

عليك إذن أن تقتنع بأهمية الأبدية ، وتضعها باستمرار أمام
عينيك . ويصبح كل شيء رخيصاً إلى جوارها .

ما أجمل قول القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس :
« غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى ، بل إلى التي لا ترى . لأن التي ترى وقتية ، أما التي لا ترى فأبدية » (٢ كور : ٤ : ١٨) .

حقاً ، في هذه النظرة ، يتجلى الفارق الأساسي بين الإنسان الحكيم ، والإنسان الجاهل .

الجاهل نظرته قصيرة لا تتعدى المراثيات والحياة الأرضية . أما الحكيم فينظر إلى بعيد ، إلى ما بعد الموت ... و يظل يفكر : ماذا سيكون مصيري بعد أن أخلع هذا الجسد ؟ أين سأذهب ؟ وماذا سأكون ؟ .

وأنت أيها الأخ ، بماذا أنت مشغول ؟ ...

وأين وضعت قلبك ؟ هنا أم هناك ؟ ...

لأنه حيث يكون قلبك ، يكون كنزك أيضاً ...

إن الحكماء يشعرون أنهم غرباء على الأرض ، ولا يركزون آمالهم في الأرض ، بل « ينتظرون المدينة التي لها الأساسات ، التي صانعها وبارئها الله » (عب ١١) .

والذي يهتم بأبديته ، يرتفع فوق مستوى الأرض والأرضيات . ولا يستهويه شيء مما في هذا العالم .
العالم كله خلفه ، وليس أمامه ...



[٤٨] ثلاث فضائل

ثلاث فضائل ، ينبغى أن تدخل في كل فضيلة ، لتصبح فضيلة حقيقية : وهي المحبة والتواضع والحكمة .

كل فضيلة خالية من المحبة ، لا تحسب فضيلة . وكذلك كل فضيلة خالية من الإلتضاع ومن الحكمة .

فكل عمل بعيد عن الحب ، هو بعيد عن الله .
والله يأخذ من كل فضيلة ما فيها من حب ، فإن لم يجد فيها حباً ، يبعدها عنه بالجملة .

كذلك الفضيلة الخالية من الإلتضاع ، هي مرفوضة من الله ، وهي طعام للبر الذائق والمجد الباطل . فأكثر شيء يكرهه الله هو الكبرياء . وقد قال الكتاب إن الرب يقاوم المستكبرين ، أما المتواضعون فيعطيهم نعمة ...

كذلك ينبغى أن تمارس كل فضيلة في حكمة ، بفهم وعقل وإفراز ...
ومن غير الحكمة والفهم ، لا تحسب الفضيلة فضيلة ...

ولهذا كان القديسون يمارسون الفضائل تحت إرشاد آباء عارفين مختبرين ، لكي يعلموهم الإفراز ، ويفهموهم كيف تكون الفضيلة ...
ويشرح لنا التاريخ كيف أن الذين سلخوا في الفضيلة بلا معرفة ، سقطوا وضاعوا ...

كثيرون سلكوا في الصوم بلا حكمة ، فتعبوا جسدياً وروحياً .
وكثيرون مارسوا الصمت بغير حكمة ، فأوقعوا أنفسهم في مشاكل
وأخطاء ، ولم يكن الصمت بالنسبة إليهم فضيلة .

والبعض سلكوا في العطاء بلا معرفة ، فأعطوا مال الله للمحتالين بدلاً
من إعطائه للمحتاجين ...

لهذا قال القديس أنطونيوس إن الإفراز هو أعظم الفضائل لأنه يحكمها
و يديرها جميعاً ...

والرعاية والخدمة بلا إفراز ، قد تعقد الأمور بدلاً من علاجها . ولهذا
اشترط الآباء الرسل أن يتصف الشماسة بالحكمة إلى جوار امتلائهم
بالروح القدس (أع ٦) ...

إن الحكمة تعطي الفضيلة عمقاً وصدقاً ...

والمحبة تعطي الفضيلة عاطفة وشعوراً ...

أما التواضع فيخفي الفضيلة عن حسد الشياطين ، واذ يخفي الفضيلة ،
يعطي صاحبها استحياء ، كما يعطيه محبة في قلوب الناس ...

ليتنا نختبر أنفسنا : هل هذه الفضائل في أعماقنا ؟

[٤٩] الحب الحكيم والحب الجاهل

هناك حب حكيم يفيد صاحبه ، حتى إن سبب له شيئاً من الألم !
ولكنه نافع لروحه وأبديته .

وهناك حب جاهل يضيع صاحبه ، وإن بدت فيه ملامح من الشفقة
والحنو...

قد تحب شخصاً ، فتؤيده في الحق والباطل ، وربما تشجعه حتى في
الخطأ ، فتهلك نفسه ، وتهلك نفسك معه . ويكون حبك حباً خاطئاً .

وقد تحب إنساناً ، فتشفق على جسده من التعب ، ومن الجهاد ، ومن
النسك ، فتضره ، وتضيع روحه وعقله ومستقبله ! إنه حب جاهل ...

وأم قد تحب طفلها ، فتدله ، فتفسده ... أو تحبه في كبره وتود أن يبقى
إلى جوارها ، فتمنعه عن التكريس ، أو تمنعه عن الرهينة أو عن
الكهنوت ! ويكون حبها له حباً أنانياً ضاراً !!

وشخص يحب قريبه المريض ، فيخفي عنه خطورة مرضه ، ولا يعطيه
فرصة يستعد فيها لأبديته . إنه أيضاً حب غير روحي ، وغير حكيم .

الحب الحقيقي حكيم وروحي ، ويهدف إلى خلاص النفس ، محبة لا
تجامل على حساب الحق ، ولا تشترك في خطايا الآخرين ... محبة طاهرة
مخلصة كمحبة الله ...

[٥٠] الوقت المناسب

قال الكتاب : « لكل شيء زمان ، ولكل أمر تحت السموات وقت » (جا ٣ : ١) . والعمل الروحي ينبغي أن يعمل في الحين الحسن . الرب حينما تجسد ، تجسد في « ملء الزمان » . في أنسب وقت ، بالنسبة إلى إكمال النبوات ، واستعداد العالم لقبول الكلمة ، وفهم عمل الفداء .

وعلمنا بهذا أن نضع الوقت المناسب في اعتبارنا : في العمل ، في الكلام ، في الصمت ، في الخدمة ، في كل شيء ... مثل النباتات التي لا تزرع إلا في موسم معين ، في الجو المناسب ، حرارة وبرودة ورياحاً . ومن جهة الكلام يقول الكتاب « للسكوت وقت ، وللتكلم وقت » (جا ٣ : ٧) . وقيل أيضاً « تفاحة من ذهب في مصوغ من فضة ، كلمة مقولة في وقتها » . والإنسان الحكيم لا يتكلم في الوقت الذي يجب فيه الصمت ، ولا يصمت في الوقت الذي يجب فيه الكلام ...

إن عاتبت إنساناً ، تخيّر الوقت المناسب للعتاب ، وإلا أتى عتابك بعكس ما تريد ... إنتهز الوقت المناسب الذي يكون فيه غيرك مستعداً لسماحك ، ومستعداً لقبول كلامك .

ولا تطلب من أحد شيئاً في وقت يكون فيه مشغولاً ، أو متعباً ، أو متضيقاً ... فإن هذا ليس بالوقت المناسب الذي تطلب فيه شيئاً ... على أنه إن كان لكل شيء وقته المناسب ، إلا أن التوبة بالذات يصلح لها كل وقت ...

لا تقل : « يا أي زمان التوبة ، سأتوب ! ... حينما أجد فرصة مناسبة سأتوب . فالآن وقت مقبول ، والآن ساعة خلاص . كما يقول الرسول ...

ومع ذلك ، فهناك أوقات نعتبرها أكثر مناسبة ، وأكثر تأثيراً « إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم » ...

ولهذا هناك أشخاص نهازون للفرصة . لا يتركون الفرصة تفلت من أيديهم ، حينما تعمل النعمة فيهم ...

إن تأثروا بكلمة سمعوها ، فهذا وقت مناسب ، مثلما سمع الأنبا أنطونيوس كلمة فغيرت حياته . أو رأى أمامه حادثة معينة (موت أبيه) فانتزها ، وأخذ منها كل ما فيها من تأثير جعله يزهد الحياة ...



فهرست

صفحة

- ٧..... [١] الهدوء
- ٩..... [٢] كيف تعامل الناس
- ١١..... [٣] الأمانة في القليل
- ١٣..... [٤] فرح... وفرح
- ١٥..... [٥] مشكلة الأعذار
- ١٧..... [٦] الصوم وروحانيته
- ١٩..... [٧] الحنطة والزوان
- ٢١..... [٨] طرق لحل المشاكل
- ٢٣..... [٩] كلمات تعزية في الشدائد
- ٢٥..... [١٠] التفكير النظري الحياة العملية
- ٢٧..... [١١] الغضب البشري
- ٢٩..... [١٢] العناد
- ٣١..... [١٣] الصليب في حياتنا «أ»
- ٣٣..... [١٤] الجديدة
- ٣٥..... [١٥] الألفاظ الرقيقة
- ٣٧..... [١٦] الطموح
- ٣٩..... [١٧] لفتك تظهرك

- ٤١..... [١٨] الإنسان العملى
- ٤٣..... [١٩] التلمذة
- ٤٥..... [٢٠] فرح حقيقى وفرح زائف
- ٤٧..... [٢١] بعض تداريب الصمت
- ٤٩..... [٢٢] درجات فى الإيمان
- ٥١..... [٢٣] الصلاة
- ٥٣..... [٢٤] كلمة « أخطأت » بين الحقيقة والزيف
- ٥٥..... [٢٥] صلاة فى بدء العام الجديد
- ٥٧..... [٢٦] الإعتراف والتوبة
- ٥٩..... [٢٧] قوة الشخصية
- ٦١..... [٢٨] المسيحية ديانة قوة
- ٦٣..... [٢٩] السلوك المسيحى
- ٦٥..... [٣٠] أذكر يارب اجتماعاتنا باركها
- ٦٧..... [٣١] الصوم الروحى
- ٦٩..... [٣٢] تدريبات فى الصوم الكبير
- ٧١..... [٣٣] متاعب الذكاء
- ٧٣..... [٣٤] ما معنى الزواج ؟
- ٧٥..... [٣٥] الخوف
- ٧٧..... [٣٦] الصليب فى حياتنا «ب»
- ٧٩..... [٣٧] متى تتكلم ؟
- ٨١..... [٣٨] السلام القلبى

- ٨٣..... [٣٩] إحمل صليبك ... كن مصلوباً لا صالِباً
- ٨٥..... [٤٠] روحياتك في الخماسين
- ٨٧..... [٤١] ما معنى الغيرة؟
- ٨٩..... [٤٢] العنف
- ٩١..... [٤٣] الطريق الروحي
- ٩٣..... [٤٤] الوسائل
- ٩٥..... [٤٥] تواضع الله في تمجيده لأولاده
- ٩٧..... [٤٦] الحكمة
- ٩٩..... [٤٧] أبديتك
- ١٠١..... [٤٨] ثلاث فضائل
- ١٠٣..... [٤٩] الحب الحكيم والحب الجاهل
- ١٠٥..... [٥٠] الوقت المناسب



فروع الكتاب

مبارك هو الإنسان ، الذي
يسى إلى كلمة المنفعة .

ومبارك بالأكثر من يحول
الكلمة إلى حياة ، فحياتها ،
ولا يقتصر على القراءة
والسماع .

مبارك من يدخل إلى
أصناف الكلمة ، ويدخلها إلى
أصنافه ، ويتفاعل معها .
وهكذا تتميز قراءاته بالجديّة -

وأنا منكم بضعة كلمات ...
يمكن أن تتولد داخل قلبك ،
وداخل فكرك ، وتفتح لك مجالاً
من التفاعل ، وبمجالاً آخر من
التدريج العملية .

شنوده الثالث

الشمس ، ٩ فرشا